فن السلوك

٣

كيف تتعامل مع الناس

خليل الموسوي

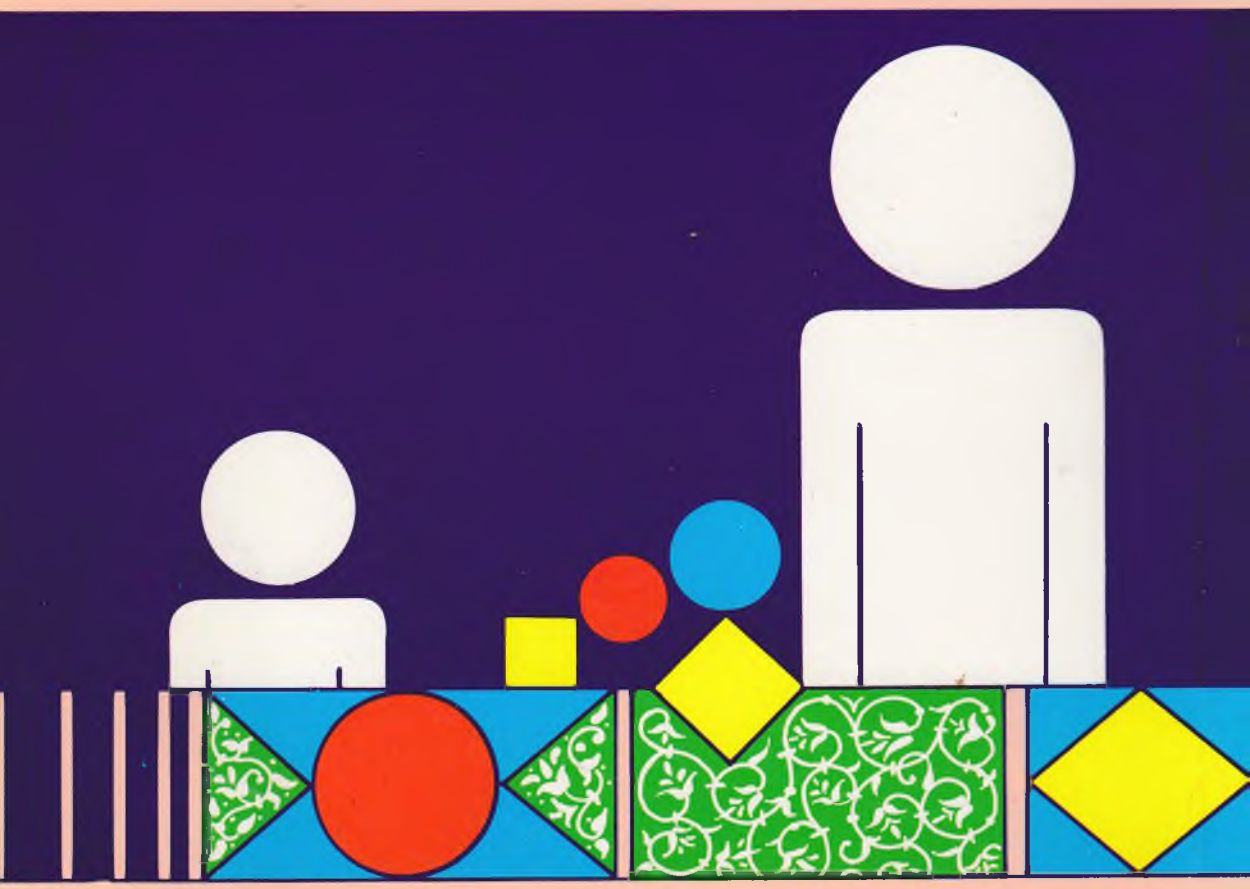

دار الأوجام
للطباعة والنشر والتوزيع

كيف تتعامل مع الناس

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ۞ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۞

مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ۞ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ

نَسْتَعِيْنُ ۞ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ ۞

صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِّيْنَ ۞

فنّ السلوك

٣

خليل الموسوي

كيف تتعامل مع الناس

دار الأوجام
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف سنتر محفوظ وحجازي - بناية محمد الزين
ت ٨٢١١٤٢ - ٨/ ٧/ ٨٢٣٥٢٦ - ٨٢٣٠٨٩ ص. ب ٩٧/ ٢٥ و٥٧٨٩/ ١١٣ بيروت لبنان

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام علي (ع) في عهده لمالك الأشتر حينما ولّاه على مصر :

« . . . فإنهم (الناس) صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق » .

ليس من الغريب ابداً أن يعتبر الاسلام ، المعاملة مع الناس هي الدّين « الدين المعاملة » ، ذلك لأن للإنسان بعدان : بعد فردي ، وآخر اجتماعي ، ونجاحه في الحياة الدنيا والآخرة يكون بالقياس الى نجاحه في هذين البعدين معاً . فنجاح الانسان في الجانب الفردي وحده ليس كافياً وبديلاً عن نجاحه في الجانب الاجتماعي . اضافة الى ذلك ان المعاملات تشكل قسماً كبيراً من الدين .

إن اغلبية المعاملات التي يجريها الانسان في اليوم والليلة هي مع بني جنسه ، سواء مع أهله وعائلته ، أو مع أصدقائه . أو مع عموم الناس . وحيث أن الأمر كذلك ، فانه يتطلب منه ان يجيد معاملتهم ، والمعاشرة معهم . لقد أجرت ـ مرة ـ جامعة شيكاغو استفتاءاً واسع النطاق لاستطلاع ما يريد البالغون أن يتعلموه ، ويلمّوا به ، فتبين ان « الصحة » هي أهم ما يعني البالغ ، وأن

« الناس » هم ثاني ما يعنيه : كيف يفهم الناس ، ويحسن معاشرتهم ، وكيف يتحبب اليهم ، ويجتذبهم اليه ، وكيف يقنعهم بأفكاره . . . الخ ؟

ولقد قال أحد كبار الرأسماليين : أن المقدرة على معاملة الناس ، « بضاعة » يمكن أن تشترى كالسّكر والبنّ ! واني على استعداد لأن اشتريها بأكثر مما يشترى أي شيء آخر .

وموضوع هذا الكتاب ـ أخي القارىء ـ هو التعامل مع الناس ، وخطته ابتنيت على ان الانسان لكي يعامل الناس معاملة حسنة ، يجدر به أن يحسن التعامل مع خالقه ـ جلّ وعلا ـ ، ذلك لأن حسن التعامل مع الله هو أساس كل عمل ناجح وموفق في الحياة ، مع الأخذ بعين الاعتبار دور الوجدان ، والتربية ، والمحيط الصالح ، والصفات الحسنة الموروثة ، في حسن التعامل مع الناس ، وبعد حسن التعامل مع الله ، يأتي دور حسن التعامل مع النفس باعتبارها أقرب المقربين للانسان ، ثم مع الأهل والعائلة والأقارب ، ثم مع الأصدقاء ، ثم مع عموم الناس . ولكون موضوع الكتاب يركز ـ بالدرجة الأولى ـ على التعامل مع عموم الناس ، فكان ترتيب الفصول كالآتي : التعامل مع الله ، التعامل مع النفس ، التعامل مع الناس ، التعامل مع الأصدقاء ، التعامل مع العائلة .

أسأل الباري ـ عز وجل ـ أن يجعلني من الذين يحسنون معاملة الناس ، ويعاشرونهم بشكل حسن ، وأن يفيد بهذا الكتاب كل محتاج له ، إنه سميع مجيب الدعاء .

خليل الموسوي

الخميس ٢٦ شوال ١٤٠٩ هـ

الموافق ١/٥/١٩٨٩ م

بينك وبين الله

أصلح علاقتك مع الله

ذهب النبي (ص) الى المسجد ليؤدي صلاة الفجر فلما أتمّ الصلاة بالناس كان الظلام قد سحب أثوابه خوفاً من أن يحرقها وهج الصباح . ولما أوشك الرسول (ص) على مغادرة المسجد إذا بشاب مصفرّ اللون قد ضعف جسمه ونحف ، وغارت عيناه في رأسه .

فسأله رسول الله (ص) : كيف أصبحت يا فلان ؟

فأجاب الشاب : أصبحت موقناً يا رسول الله !

فتعجب الرسول من قوله وقال : إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟

فقال الشاب النحيل : إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني ، وأسهر ليلي ، وأظمأ نهاري ، فزهدت نفسي في الدنيا وما فيها ، وكأني أنظر الى عرش ربي وقد نصب للحساب ، وحشر الخلائق لذلك ، وأنا فيهم . وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتمتعون في الجنة ويتعارفون، وعلى الأرائك متكئون . وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مستغيثون ، وكأني الآن أسمع زفير

النار يدور في مسامعي .

فالتفت النبي (ص) إلى أصحابه وقال : هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان . ثم أوصى الشاب قائلاً : التزم ما أنت عليه .

فقال الشاب : ادع الله يا رسول الله ، أن أرزق الشهادة معك . فدعا له رسول الله (ص) فلم يلبث أن خرج في إحدى غزوات النبي (ص) فاستشهد بعد تسعة أشخاص فكان هو العاشر[1] .

* * *

وجاء في المناجاة المرويّة عن الإمام زين العابدين (علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب) (ع) :

« اللهم ألهمنا طاعتك ، وجنّبنا معصيتك ، ويسّر لنا بلوغ ما نتمنى من ابتغاء رضوانك ، وأحللنا بحبوحة جنانك ، واقشع عن بصائرنا سحاب الارتياب ، واكشف عن قلوبنا أغشية المرية والحجاب ، وأزهق الباطل عن ضمائرنا ، وأثبت الحق في سرائرنا فإن الشكوك والظنون لواقح الفتن ، ومكدرة لصفو المنائح والمنن . اللهم احملنا في سفن نجاتك ، ومتعنا بلذيذ مناجاتك ، وأوردنا حياض حبّك ، وأذقنا حلاوة ودّك وقربك ، واجعل جهادنا فيك ، وهمّنا في طاعتك ، (وأخلص نيّاتنا في معاملتك) ، فإنّا بك ولك ، ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت . إلهي ، اجعلني من المصطفين الاخيار ، والحقني بالصالحين الأبرار السابقين الى المكرمات ، المسارعين الى الخيرات ، العاملين إلى الباقيات الصالحات ، الساعين إلى رفيع الدرجات إنك على كل شيء قدير »[2] .

---

(١) أصول الكافي ، ج ٢ ، ص ٥٣ ، باب حقيقة الايمان واليقين .

(٢) كليات مفاتيح الجنان ، ص ١١٩ ، (مناجات المطيعين) .

وقال الإمام علي (ع) :

« من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه ، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ »[٢] .

بلا أدنى ترديد أن علاقة الانسان بالناس وتعامله معهم ، مرتبطة أشد الارتباط بعلاقته بالله وتعامله معه ، لأنه ـ عز وجل ـ خالق الانسان ، وبارؤه من العدم ، ومهيمن عليه ، ان شاء أبقاه حيّاً ، وإن شاء أخذه إليه . وحيث أن حياة الانسان وموته بيد الله ، بل أن كل ما يرتبط به هو بيده ـ جل وعلا ـ فإن من الواجب عليه (الانسان) أن يعرف قدر ربه وعظمته ـ فيطيعه ، ويوقن به ، ويحبّه ، ويحسن معاملته ، ويصلح ارتباطه به ، لكي تنعكس آثار ذلك على مجمل جزئيات حياته ، ومنها تعامله مع بني جنسه .

إن من سنن الله في الحياة أن من يوفر في نفسه شرط إصلاح العلاقة ما بينه وبين ربه ، فإن جزاءه أن تنتظم حياته ، ومنها علاقته بالناس ، ومعاملته لهم ، فتكون حسنة وحكيمة .

وقد يقول قائل :

ان للإنسان وجدان داخلي ، فإذا صلح هذا الوجدان ، صلحت علاقة الانسان بالناس وتعامله معهم ، وبالتالي لا ربط لذلك بإصلاح العلاقة مع الخالق !

ونتساءل :

---

(١) نهج البلاغة ـ قصار الحكم ، حكمة ٨٩ .

وما الذي يضمن صلاح وجدان الانسان في غياب اصلاح العلاقة مع الله ؟!

وهل القانون الوضعي ـ وحده ـ يكفي لخلق الأرضية الحسنة في نظم حياة الانسان ، ومنه التعامل مع الناس ؟!

إن إلغاء العلاقة مع الله ، أو إعطاءها دوراً هامشياً هو نهج الملحدين ، والكفار ، والماديين ، وبناء على ذلك لا غرابة أن نجد في المجتمعات الملحدة ، والكافرة ، والمادية سوء علاقة الانسان بالانسان ، وتحوّل الفرد إلى مجرد أداة للمادة . ولا غرابة أيضاً أن نجد تفاقم الجريمة في المجتمعات الغربية ، كالسرقة ، والاغتصاب ، والإدمان على المواد المخدرة ، وأكل أموال الآخرين بالباطل ، والخديعة ، واستخدام أي وسيلة من شأنها درّ الأرباح والمكاسب المادية ، و . . .

إن القانون الوضعي وحده لا يكفي ، فهو قد يمنع الانسان من ارتكاب الجريمة ، إلّا أنه لا يعالج جذورها لاجتثاثها من الأصل . وهذا ما نجده في المجتمعات الغربية ، والملحدة ، واللا دينية عموماً ، إذ بالرغم من وجود القوانين وكثرتها ، إلّا أن الجرائم في ازدياد مطرد . فعلى سبيل المثال : ان انقطاع الكهرباء لمدة دقيقة واحدة في مدينة نيويورك الأمريكية يؤدي الى حدوث عشرات الجرائم .

* * *

إن القانون الوضعي مثله مثل البوليس الفرنسي المتواطىء مع السلطة الفرنسية . فكما يقال : إنه حينما يخصص شرطي للمحافظة على شخص لا ترغب فيه ومتورطة معه ، فإن وظيفة هذا الشرطي ليس منع المهاجِم من ارتكاب الجريمة ، وإنما وظيفته أن يشهد وقوع الحادث .

فحينما أطلق الرصاص على (ابن بركة) ، وخرّ صريعاً على الأرض ، آنئذ جاء البوليس الفرنسي ، وقال : نعم ، رأيت هذا قد أطلق النار على هذا . وهكذا يكون عمل القانون الوضعي ، فهو لا يستطيع كبح جماح الجريمة ، واستئصالها من الجذور ، وإنما يأتي فيصدر الأمر بمعاقبة المجرم فقط ، والجريمة قد وقعت .

ولا يعني ذلك أن القانون الوضعي ليس مطلوباً ، وليس له تأثير في تقويم المجتمع ، بل هو ضروري . ولكن المقصود من ذلك أن يكون القانون مبنياً على أرضية صالحة لكي يتمكن من ضبط المجتمع وتقويمه ، لأن التقويم يجب أن يكون ابتداءً من الجذور ، والجذور تتمثل في الايمان بالله ، وطاعته ، وتقواه ، وحبه ، واصلاح العلاقة معه .

وقد يسأل السائل فيقول :

ما هي رابطة ارتكاب الجرائم بالتعامل مع الناس ؟

وأليست الجرائم متمثلة في القتل ، والسرقة ، والاغتصاب ، وممارسة الفحشاء ، والادمان على المخدرات ، وشرب الخمر ، وما إلى ذلك ؟

والجواب :

إن الأخطاء التي قد يرتكبها الانسان في تعامله مع الناس من جرّاء سوء ارتباطه بالله هي في حد ذاتها أخطاء أو جرائم . وهذه الجرائم قد تكون صغيرة ، وقد تكون كبيرة ، ومن يفعل الجريمة الصغيرة ، قد يرتكب الجريمة الكبيرة ، وكما في المثل : من سرق بيضة قد يسرق جملاً . وفي منهج الله لا فرق ـ من حيث الأصل ـ بين أن تكون الجريمة صغيرة أم كبيرة ، بل الجريمة هي الجريمة صغرت أم كبرت ، والخطأ هو الخطأ ، والمطلوب إزالة جذورها ، وإحلال جذور الصلاح محلها . ومتى ما كان الأمر كذلك فإن الانسان بحاجة

ملحّة الى التزام قوانين الله وأخلاقياته ، واصلاح علاقته وتعامله معه ، لكي يتعامل مع بني البشر ـ وبشكل عام ـ بحكمة ، وبالتي هي أحسن . ومن أهم أوجه إصلاح العلاقة والارتباط بالله الأخذ بعين الاعتبار الدار الآخرة وإصلاح أمرها .

يقول الله تعالى :

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله إليك ﴾[1] .

(١) سورة القصص ، آية : ٧٧ .

أصلح أم آخرتك

أرأيت الواحد منّا كيف يرى في الحلم أنه سافر الى مدينة من المدن ، أو إلى أي مكان آخر ، فتراه يتفاعل مع هذا الحدث . وفجأة يدق جرس الساعة ، فيفتح أجفانه ليجد نفسه في فراشه ومكانه الأصلي ، وكأنه لم يرحل ، ولم ير شيئاً .

وقد يبدي الانسان عجبه فيقول :

انني كنت في عالم آخر ثم جيء بي إلى هنا !

وينسى أن حياته سريعة كالحلم ، فيرى كل الاشياء حلماً ، ويرى تلك النباتات التي تقاتل عليها مجرد لعب أطفال ، والسيارة التي باع بها ضميره مثل سيارة من البلاستيك ، فالأطفال يتشاجرون وبعنف من أجل سيارة بلاستيكية ، أو قطار من الخشب .

وأنا وأنت قد تضحك من هذه التصرفات الطفلية ، ومن هذا المستوى من التفكير . إلا أننا سنضحك على أنفسنا غداً إذا لم نستغل دنيانا لاصلاح آخرتنا ، وإذا لم نجعل هذه الدنيا مزرعة للدار الآخرة . وسنصاب بالحسرة

والندم إذا لم نكوّن لنا رصيداً راجحاً من الأعمال الصالحة ، ومنها حسن التعامل مع الأخوان في الدين ، أو النظراء في الخلق ، وسنجد أن كل شيء من أعمالنا جلياً واضحاً ، الخير منها والشر ، إلا أنه لا فرصة لنا في العمل ، إذ ذهب وقت العمل ، وحان موعد الحساب ، وولات حين حسرة وندم !

يقول الإمام علي (ع) :

« اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل »[1] .

وإذا كان الأمر كذلك فلنبدأ ـ ومن اللحظة التي نحن فيها ـ بإصلاح ارتباطنا بالله ، وبإصلاح أمر آخرتنا بجعل دنيانا مطية ومزرعة لها ، مع العلم بأن إصلاح التعامل مع الاخوان ومع بني البشر عموماً هو جزء كبير من اصلاح أمر دنيانا ، وبالتالي اصلاح أمر آخرتنا .

إن الملحدين والماديين يتصورون ويعتقدون أن الحياة الدنيا هي كل شيء ، ويغفلون ، أو ينكرون أن هناك داراً باقية خالدة ، وهي الدار الآخرة . ونتيجة لذلك فهم يعيشون ويتصرفون وكأن لا وجود لحياة بعد الدنيا ، ولا حشر ، ولا معاد ، ولا حساب ، ولا كتاب . ومتى ما ضاعت الآخرة فيهم . انتكست دنياهم وطلح أمرها ، حتى لو عاشوا في أرقى حالات الرفاه والنعيم ، إذ لا غنى للانسان في هذه الحياة عن العبودية والخضوع لله ، والارتباط الروحي به ، والايمان بالآخرة .

انهم يتصورون أنه من الجهل ، أو من الترف أن يكون الانسان روحياً ، وأن يحسن علاقته مع ربه لكي تنعكس آثار ذلك إيجابياً على تعامله مع الآخرين . وتتحول حياتهم الى مادية ، ولا يهم بعد ذلك عندهم إن ظلموا ، أو نهبوا . أو أساؤوا التعامل مع الناس .

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ، ص ٤٣٥ .

فلكي تصلح ما بينك وبين الناس ، يلزم لك أن تصلح ما بينك وبين الله ، ولكي تصلح ما بينك وبين الله يلزم لك أن تصلح آخرتك لكي يصلح الله أمر دنياك . وما من شك أن من أمور الدنيا التعامل مع الناس والعلاقات الانسانية معهم ، فهي ميدان وسيع في الدنيا ، ومجال يحاسب عليه الانسان في الآخرة .

* * *

يقال أن أحد الصالحين كان جالساً في أحد المقابر وحيداً ، وإذا به يرى جنازة يحملها مشيعون ، جاؤوا لدفنها . وبعد انتهائهم من دفنها عادوا أدراجهم ، وتركوا صاحبهم وشأنه . وبينما هو كذلك رأى كلباً أسوداً تبدو عليه إمارات الوحشية ، يسير باتجاه تلك الجنازة التي دفنت ، والرجل لا يرى من الجنازة والقبر شيئاً .

وبعد أمدٍ قصير وقعت نظراته على شاب وسيم المنظر ، مشرق الطلعة ، يرتدي ملابس بيضاء ، متوجهاً إلى ملحودة الجنازة . وبعد فترة من الزمن رأى الرجل ذلك الشاب الوسيم وقد عاد ممزّق الثياب ، والدماء تنزف منه ، فقفز الرجل من مكانه مندهشاً ، وبادره بالسؤال :

هل لك حاجة يا هذا ؟ !

وهل آذاك أحد ؟!

قال الشاب الجميل والدموع تنهمر من عينيه على صفحتي خديه :

يا هذا ! إنك ترى الآخرة ، والحجاب قد كشف عن عينك .

وأردف قائلاً :

هل رأيت الجنازة ؟

قال : نعم !

قال الشاب : وهل رأيت الكلب الأسود المتوحش ؟

قال : نعم !

قال الشاب بوداعة : أنا العمل الصالح لصاحب الجنازة ، وذلك الكلب الوحشي هو معاصيه . وحينما وضع في القبر كلّف كلانا بأن نذهب إليه ، ونكون أنيسه الى يوم القيامة . إلاّ أن معاصيه كانت أكثر من طاعاته ، فاستطاع أن يدميني ويطردني ، وسيبقى ذلك الكلب الوحشي أنيسه إلى يوم يبعثون .

فهل ـ يا ترى ـ فكرنا في أنفسنا جيداً ؟

وهل حسبنا حساب الآخرة ؟

* * *

ويقال أنه كان لأحد التجار خادم ، وكان التاجر شأن كثير من أمثاله ، يجمع الأموال ويخزنها . وحينما كان الخادم ينصحه بأن ينفق من أمواله في سبيل الله ، كان يقول :

لقد أوصيت أن يفعلوا ذلك من بعدي .

وذات ليلة والظلام الدامس ينشر أجنحته على الطرقات ، كان الخادم يسير ويحمل سراجاً ، والتاجر يسير برفقته ، إلاّ أن الخادم تعمّد أن يمشي خلفه فلم يستطع التاجر أن يبصر شيئاً . فالتفت إلى خادمه وقال :

كيف أستطيع الاهتداء في مسيري ، والسراج من ورائي ؟! وهل يبصر شيئاً من كان السراج وراءه ؟!

قال الخادم : إذن ، كيف تريد أن يأتيك السراج في قبرك ومعادك ، من ورائك ؟

فلنصلح أمر آخرتنا بالعمل الصالح والمسارعة والمسابقة اليه في دنيانا ، ولنقدم سراجنا ونضعه أمامنا ، فنحن الذين سننام في قبورنا لا غيرنا ، ونحن الذين سنحاسب على أعمالنا لا غيرنا . أي أنا سأحاسب على أعمالي لا غيري ، وأنت ستحاسب على أعمالك لا غيرك . وان في وضعنا للسراج من أمامنا ، سيجلعنا ـ فضلاً عن الفلاح في الدار الآخرة ـ ناجحين في دنيانا ، ونتعامل مع الناس بشكل يرضي الله ، ويرضي عباده . وكل ذلك يتوقف على علاقتنا بالله .

كيف يجب أن تكون علاقتنا بالله ؟

يقول الإمام زين العابدين (ع) في رسالة الحقوق :

« حق الله الأكبر عليك : أن تعبده ولا تشرك به شيئاً ، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة »[1] .

قد يسأل السائل فيقول :

إذا كان اصلاح المعاملة مع الله هو الأرضية الصالحة والناجحة للتعامل مع عباده ، فكيف يتم اصلاح المعاملة مع الله ؟

والاجابة :

إن إصلاح المعاملة مع الله تحصل من الإخلاص في توحيده . وهنا مجموعة من القواعد لاصلاح الارتباط بالله ، وهي حقوق ، وقواعد فرعية لتوحيده ـ عز وجل ـ والقواعد هي كالتالي : ـ

(١) مكارم الأخلاق ، ص ٤١٩ .

١ ـ توحيد الله بإخلاص .

٢ ـ نفي الشرك عنه .

٣ ـ معرفته .

٤ ـ الإيمان به .

٥ ـ عبادته .

٦ ـ اطاعته (الائتمار بأوامره ، والانتهاء عن نواهيه) .

٧ ـ خوفه (تقواه ، والورع عن محارمه) .

٨ ـ رجاؤه .

٩ ـ حبّه .

١٠ ـ حب من يحبه .

١١ ـ الرغبة اليه .

١٢ ـ حمده .

١٣ ـ شكره على نعمه .

١٤ ـ شكره على أية حال .

١٥ ـ ثناؤه .

١٦ ـ النظر الى جميل رؤيته .

١٧ ـ طلب شفاعته .

١٨ ـ الرضا عنه .

١٩ ـ الرضا بقدره وقضائه .

٢٠ ـ الاعتصام به .

٢١ ـ الافتقار اليه .

٢٢ ـ الندم إليه من الذنوب والآثام والأخطاء .

٢٣ ـ التوبة إليه .

٢٤ ـ طلب العفو منه .

٢٥ ـ الانابة اليه في كل الأحوال .

٢٦ ـ مناجاته .

٢٧ ـ الشكوى إليه .

٢٨ ـ التوسل به .

٢٩ ـ ذكره في كل الأوقات .

٣٠ ـ الصلاة له .

٣١ ـ دعاؤه .

٣٢ ـ التضرع له .

٣٣ ـ استغفاره .

٣٤ ـ الخضوع له .

٣٥ ـ سؤاله .

٣٦ ـ الاستكانة لعظمته وجلاله .

٣٧ ـ طلب الرفق منه .

٣٨ ـ البكاء من خوفه .

٣٩ ـ استمداد القوة منه .

٤٠ ـ طلب النجاة منه .

٤١ ـ التعرض لجوده .

٤٢ ـ نصرته على الأعداء .

٤٣ ـ طلب ستره للعيوب .

٤٤ ـ وقاؤه من البلاء .

٤٥ ـ تقدير رأفته ورحمته .

٤٦ ـ العمل في سبيله .

٤٧ ـ الاستجارة به ، ومن أليم غضبه .

٤٨ ـ طلب العطاء منه .

٤٩ ـ استمداد الأمل والتفاؤل منه .

٥٠ ـ الاقبال عليه .

٥١ ـ مجاهرته بالعصيان .

٥٢ ـ التوكل عليه .

٥٣ ـ التماس قراه .

٥٤ ـ الاناخة ببابه .

٥٥ ـ الايمان والاحساس بمراقبته .

٥٦ ـ الاخلاص إليه .

٥٧ ـ الهروب إليه .

٥٨ ـ طلب اطمئنان النفس منه .

٥٩ ـ الايقان به .

٦٠ ـ استمداد البصيرة منه .

٦١ ـ حسن الظن به .

٦٢ ـ الثقة بثوابه .

٦٣ ـ عدم الغفلة عن الاستعداد للقائه .

٦٤ ـ الابتهال اليه .

٦٥ ـ التعرض لنفحات روحه .

٦٦ ـ طلب الستر منه .

٦٧ ـ الطمع في إحسانه .

٦٨ ـ طلب مرضاته .

٦٩ ـ طلب مغفرته ورحمته .

٧٠ ـ التماس إبعاد العذاب ، منه .

٧١ ـ الشهود على النفس بالاهمال والتضييع .

٧٢ ـ طلب التوفيق منه ، في الدنيا والآخرة .

٧٣ ـ طلب الاحلال في بحبوحة جنّاته .

٧٤ ـ التماس قشع الارتياب والشكوك ، منه .

٧٥ ـ طلب تثبيت الحق في النفس ، منه .

٧٦ ـ طلب نزع الباطل من الضمير ، منه .

٧٧ ـ الجهاد في سبيله .

٧٨ ـ الاخلاص في معاملته .

٧٩ ـ طلب اللحوق بالصالحين والأبرار ، منه .

٨٠ ـ التماس الهداية منه .

٨١ ـ طلب التسهيل في العسر والشدة ، منه .

٨٢ ـ الرغبة فيما عنده .

٨٣ ـ طلب السعادة منه .

٨٤ ـ الاستشفاع بنبيّه .

٨٥ ـ طلب ختم العمل بالخير ، منه .

٨٦ ـ طلب قضاء الحاجات ، منه .

٨٧ ـ الشوق إليه .

٨٨ ـ الاقتراب منه .

٨٩ ـ طلب الامان منه .

٩٠ ـ الاستعانة به .

٩١ ـ التعرض لنفحات برّه .

٩٢ ـ استقلال العمل في سبيله .

٩٣ ـ استلهام الأفكار منه .

٩٤ ـ الايمان بغيبه .

٩٥ ـ تقديسه .

٩٦ ـ الأنس به .

٩٧ ـ التمسك بعروة عطفه .

٩٨ ـ طلب التزهيد في الدنيا منه .

٩٩ ـ حسن الارتباط والتعامل معه .

فلكي نحسن معاملتنا لله ـ عز وجل ـ ، ومن ثم معاملتنا لأنفسنا والناس ، واجبنا أن نلتزم هذه القواعد ، ونستقيم عليها .

كيف تتعامل مع نفسك ؟

لا تسيء إلى أحبّ الناس إليك

فتح أبو ذر الرسالة التي وصلته فوجدها قادمة من مكان بعيد ، ومن رجل يعرف ابا ذر وشخصيته ، ومكانته من النبي (ص) ، واطلاعه الواسع بأحاديث الرسول (ص) وحكمه ، ولذا فهو يطلب في رسالته نصيحة من أبي ذر ، جامعة .

عندما انتهى أبو ذر من قراءة الرسالة كتب في جوابها :

لا تعادِ أحب الناس إليك ، ولا تسيء إليه .

فلما وصل الجواب إلى الرجل وقرأه ، لم يفهم منه شيئاً ، فتساءل في نفسه : ماذا يريد أبو ذر بهذا ، « لا تعاد أحب الناس إليك » ؟ .

إن هذا ـ لعمري ـ لمن أوضح الواضحات ، أفيعقل أن يعادي الانسان أحب محبوب لديه ، وأن يسيء إليه ؟ فالذي أدريه أنه لا يسيء إليه فحسب ، بل ويفديه بماله وروحه .

ثم فكر في نفسه وقال :

يجب أن لا أنسى شخصية كاتب هذه الوصية (أبو ذر) ، أنه لقمان هذه

الأمة وحكيمها ، فلأطلب منه توضيحاً لما أوصاني به ، فكتب إليه رسالة أخرى طالباً منه توضيح ما كتب .

فكتب أبو ذر في الجواب :

إن مقصودي من أحب وأعز الاشخاص لديك هو (نفسك) ، ولست أقصد شخصاً آخر ، فأنت تحب نفسك أكثر مما تحب الآخرين ، ولذلك قلت لك : لا تسيء إلى أحب الناس إليك ، ومعناه : أن لا تسيء إلى نفسك ، ألا تعلم بأن كل ذنب وكل جرم يرتكبه الانسان يعود ضرره على نفسه ؟

* * *

لكي تحسن معاملة الناس

قد يتساءل البعض فيقول :

إذا كان الموضوع هو التعامل مع الناس فما ربط ذلك بالتعامل مع النفس ؟

وهل هناك فاصل بين الانسان ، ونفسه ؟

وأليس الانسان هو نفسه ؟وتكون الاجابة كالتالي :

ان نفس الانسان جوهرة ثمينة ، وبلا ترديد أن أول الناس بالنسبة له هي نفسه . وهي أشبه شيء بالدابة الجامحة المستعصية ، التي تريد أن يطلق لها العنان ، فترتكب ما يحلو لها من الأعمال ، والمعاصي ، والذنوب ، والأخطاء . والعقل هو ذلك العقال ، أو اللجام الذي يمنعها من الانطلاق ، والانفلات في طريق الهوى ، والضلال ، وممارسة الاخطاء .

فإذا عقلت النفس ووجهت في طريق الخير ، انتظمت حياة الإنسان واقترب من الحكمة ، وإذا أطلقت وتركت ، ارتبكت حياة الانسان ، وأوردته

موارد الشر والهلاك .

صحيح أنه لا فاصل كبير بين الانسان ونفسه ، إذ أنها النفس لذات الجسد ، فهي أقرب المقربين الى الإنسان . ولكن هذا القريب هو ألدّ الأعداء بالنسبة إليه فيما إذا انصاع إليها وأصبح مطية لها في ممارسة الشر وارتكاب الأخطاء .

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك »[1] وبما أن النفس هي ألدّ الأعداء بالنسبة للانسان ، فهي يجب أن تجاهد ، ومتى ما جوهدت استطاع الانسان أن يجعل منها مطية ، ومركباً للخير ، واستطاع أن يختار لها ما يجب العمل به من الخير والصلاح ، وترك ما يجب أن تنتهي عنه من الشر والفجور .

يقول تعالى :

﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دسّاها ﴾[2] .

ومتى ما طهّر الانسان نفسه ، وجعلها تحت إمارة عقله ، استطاع أن يهيّىء الأرضية الصالحة له للعمل والتصرف في جميع ميادين الحياة بشكل حكيم وقويم . ومن الميادين الهامة ، ميدان التعامل والمعاشرة مع الناس . فالانسان سواء كان في بيته . أو في موقع عمله ، أو في الشارع ، أو في أي مكان آخر ، هو يعاشر الآخرين ويتعامل معهم . وميدان التعامل مع الناس هو من أهم الميادين التي يختبر فيها الانسان ونفسه . وهو يعتمد على إصلاح النفس

---

(١) ميزان الحكمة ، ج ٦ ، ص ٩٥ .

(٢) سورة الشمس ، آية : ٧ ـ ١٠ .

وتهذيبها . فمن يصلح نفسه ويهذبها ويزكيها يكون مؤهلاً لأن يتعامل مع الناس بشكل حسن وناجح ، ومن لا يصلحها ، ولا يهذبها ولا يزكيها لا يمكنه ذلك بالطبع .

وقد يقول قائل :

لا علاقة بين اصلاح النفس وبين التعامل مع الناس ، فهناك أناس فسقة وفجّار ، ويرتكبون الموبقات كالزنا ، وشرب الخمر ، والسرقة ، ولعب القمار ، وغير ذلك ، ولكنهم يتعاملون مع الناس بشكل جيّد ، فيحترمونهم ، ويقدرونهم ، ولا يسيئون إليهم .

والردّ على ذلك :

نادراً ما تجد الفسقة والفجار يتعاملون مع الناس بشكل حسن ، وإذا وجد فيهم من يحترم الناس ولا يسيء اليهم فذلك لوجود بقايا الفطرة والوجدان ، أو أن حالة الفسق والفجور مقصورة على النفس دون ربطها بالتعامل مع الآخرين ، إلّا أن حالة الانحراف مهما قصرت على النفس فإن آثارها على الآخرين تظهر من خلال التعامل معهم ، لأن إصلاح النفس هو الأرضية السليمة لاصلاح جميع التصرفات في الواقع الخارجي . .

الأمر الآخر ، لا يكفي أن تكون علاقة الانسان بالناس جيدة بينما علاقته مع نفسه سيئة ، فمثل الذي يحسن التعامل مع الآخرين ويسيء التعامل والعشرة مع نفسه كمثل الذي يعطي المعروف للأبعدين ، وينسى الأقربين له ، بينما القاعدة تقول : « الأقربون أولى بالمعروف » . وحيث أن نفس الإنسان هي أقرب المقربين له ، وأحب المحبوبين بالنسبة إليه ، أفلا يكون من حق الحبيب أن يُتعامل معه بشكل يليق بحبّه ؟

والسؤال هو :

كيف يجب أن يكون التعامل مع هذا الحبيب ؟

وكيف نحسن العشرة والتعامل معه لكي نحسن العشرة والتعامل مع الناس ، وكل تصرفاتنا في الحياة ؟

جاهد نفسك

بعث رسول الله (ص) سرية ، فلما رجعوا قال :

مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر ، وبقي عليهم الجهاد الأكبر .

قيل : يا رسول الله ! وما الجهاد الأكبر ؟!

قال : جهاد النفس .

ثم قال (ص) «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»[1] .

* * *

كانت الليلة ليلة أم سلمة ، فذهب النبي (ص) الى بيتها ليقضي ليلته هناك ، وعندما أسدل الظلام سدوله ، وضرب السكون سرادقه على البيت ، نهض النبي (ص) من فراشه دون أن تحسّ به أم سلمة ، وانتحى زاوية من البيت . فلما انتبهت دهشت لعدم وجوده على الفراش ، فداخلها ما يداخل النساء عادة ، فهبّت تطلبه في جوانب البيت ، فألفته قائماً في زاوية منه يدعو ويبكي ، ويقول :

(١) بحار الأنوار .

«اللهم لا تنزع مني صالح ما أعطيتني أبداً ، اللهم لا تشمت بي عدوّاً ولا حاسداً أبداً ، اللهم لا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً ، اللهم ولا تكلني الى نفسي طرفة عين أبداً » .

فأثرت فيها حالة الرسول تلك تأثيراً شديداً ، فانفجرت باكية ، فانتبه النبي (ص) لبكائها ، فذهب إليها وسألها : « ما يبكيكِ » ؟

فأجابت : لم لا أبكي ؟!

أنت بالمكان الذي أنت به من الله ، ومع هذا تسأله أن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين أبداً ، فكيف بي ؟

فقال (ص) :

«يا أم سلمة ، وما يؤمنني وقد وكل الله يونس بن متّى الى نفسه طرفة عين وكان منه ما كان »[1] ؟

***

هكذا يعلمنا رسول الله في التعامل مع النفس ، فلكي لا يكلنا الله إلى أنفسنا ، يلزم لنا أن نجاهدها كما لو كانت أعداء بالنسبة لنا .

أرأيت الواحد منّا كيف يتعامل مع عدوٍّ له ويجاهده ؟

إنه يعدّ ما استطاع من قوة ، وإرادة ، ويترصد بالعدو أي ثغرة يحاول النفوذ والهجوم منها ، ويستخدم الذكاء في الحاق الهزيمة به . وهكذا الحال بالنسبة للنفس ، فهي يجب أن تعامل وتجابه بالقوة والشدة ، لا باللين والميوعة ، ومن صور هذا التعامل ، إجهادها وعدم الرفق بها ، والرد منها عند الشهوات ، وتجنب خدعها ، وعدم تحقيق لها ما يكرهه العقل ، واختيار أصعب الأعمال ، لأن أفضل الأعمال ما أكرهت النفس عليه .

---

(١) بحار الأنوار .

يقول الإمام علي (ع) في وصف المتقي :

« إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره ، لم يعطها سؤلها فيما هويت »[1] .

ومتى ما جاهدنا أنفسنا ، خلقنا الأرضية السليمة لأن نحقق الفلاح في الدار الآخرة ، والدار الدنيا ، وأن نكون لبنات صالحة وفعالة في الاجتماع ، وكان بوسعنا أن نتعامل مع عباد الله بشكل يرضيه تعالى . ومن أهم صور مجاهدة النفس ، نهيها عن هواها .

(١) تحف العقول ، ص ١٠٨ .

انه نفسك عن هواها

قال الإمام الصادق (ع) في حديث طويل :

« من اتبع هواه واعجب برأيه كان كالرجل الذي اشتهر بين العامة من الناس بالخير والاحسان الى الاخرين ، فكانوا يعظمونه ويبجلونه ، وكان ذكره يتردد على الألسن ، والمدح والثناء يزجى اليه من كل حدب وصوب ، وكانت شهرته بالتقوى والصلاح قد طغت حتى فاضت بها القلوب والأفواه .

أما الكلام عن شرفه وسخائه فقد كان يدور في كل ناد ويتكرر في كل مجلس . فأحببت أن أشاهده عن كثب ومن حيث لا يعرفني .

وذات يوم رأيته وقد أحدق به خلق كثير ، فدنوت منه متنكراً ، فوجدت الناس مسحورين به وهو ما يزال يراوغهم حتى فارقهم . فتبعته من حيث لا يعلم كي أعرف أي طريق يسلك ، وأي مكان يريد ، وماذا يفعل ، وما هي الأعمال الحسنة التي يقوم بها ؟

وبعد برهة رأيته يقف أمام حانوت خباز ، وما هي إلّا لحظة حتى انتهز فرصة انشغال صاحب الحانوت ، فتناول رغيفين وأخذ طريقه . فتعجبت منه ، وقلت في نفسي : لعله قد اشتراهما سابقاً ، ودفع ثمنهما سلفاً ، أو أنه سيدفعه

آجلاً . ثم قلت في نفسي : إذا كان قد اشتراهما فلماذا اغتنم فرصة انشغال صاحب الحانوت ؟ . ثم لم أزل أتابعه وأنا في خضمّ هذا الفكر حتى مر ببائع رمّان فتوقف عنده هنيهة ، وما زال يراقبه حتى تغفّله وأخذ منه رمانتين ، وتابع سيره فدهشت لأمره ، وقلت في نفسي لعله قد اشتراهما أيضاً ، ثم تساءلت : ولكن لماذا أخذ الرّمانتين في غفلة من بائع الرمان ؟

ثم لم أزل أتابعه حتى مرّ بمريض ، هنا بلغ عجبي منتهاه عندما وجدته يضع الرغيفين والرمانتين بين يديه . وهنا اقتربت منه وقلت له : أنا رأيت منك عملاً عجيباً ، وبيّنت له كل ما شاهدته منه ، وسألته أن يوضح لي ذلك ، فنظر إليّ وقال : ألست جعفر بن محمد ؟

ـ بلى ، حدسك صحيح ، أنا جعفر بن محمد .

فقال : أنت ابن رسول الله ، ولك حسب ونسب أصيل ، ولكن ما ينفعك شرف أصلك مع جهلك ؟

فقلت : أي جهل رأيته مني ؟

قال : جهلت قول الله ـ عز وجل : ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها** ﴾ ، وإني لما سرقت الرغيفين كنت قد اقترفت سيئتين ، ولما سرقت الرمانتين كنت قد اقترفت سيئتين ، فهذه أربع سيئات ، فلما تصدقت بكل واحدة منها كان لي أربعون حسنة ، فانتقص من أربعين حسنة أربع سيئات ، فيبقى لي ست وثلاثون حسنة .

فقلت له : ثكلتك أمك ، أنت الجاهل بكتاب الله ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ . إنك لما سرقت رغيفين كانا سيئتين ، ولما سرقت الرمانتين كانتا أيضاً سيئتين ، ولما دفعتها الى غير صاحبها ، وبغير

أمر صاحبها كنت أضفت أربع سيئات ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع سيئات .

قال الإمام (ع) :

وتركته وهو على هذه الحال يلاحقني ببصره وانصرفت .

وعندما انتهى الإمام (ع) من نقل هذه القصة الى أصحابه توجه إليهم وقال : بمثل هذا التأويل القبيح المستنكر يضَلّون ويضِلّون »[1] .

* * *

يقول تعالى :

﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى ﴾[2] .

لما كان هوى النفس عدو العقل والحكمة ، فإن من أول شروط اصلاح النفس ، وجعلها تسير على هدى العقل ، هو مخالفة الهوى .

قد تسأل :

ما هو الهوى ؟

الهوى هو الحب بالمعنى السلبي ، والافراط في حب الذات ، وكل ما من شأنه جعل النفس تخالف هدى العقل وتسير في خط الشهوات . إن من طبيعة الانسان أنه يحب ذاته ، إلّا أن هذا الحب يجب أن يكون معتدلاً لا مفرطاً ، ومتى ما أفرط الانسان في حب ذاته أصبح أنانياً ، ومتى ما أصبح كذلك

---

(١) وسائل الشيعة ،ج ٢ ص ٥٧ .

(٢) سورة النازعات ، آية : ٤٠ ـ ٤١ .

فإنه يفعل كل ما من شأنه خدمة الذات والتذاذها دون النظر إلى مراقبة الله تعالى ، ودون النظر الى الناس وإعطائهم حقوقهم ومعاملتهم بإحسان .

وكقاعدة عامة في نهي النفس عن هواها : في أي عمل تريد القيام به ، أو في أي خطوة تخطوها ، أنظر إذا كانت نفسك تتجه الى العمل وفق ما يأمر به الله والعقل ، فاعمل ذلك لأنه طاعة لله وخلاف هوى نفسك ، وإذا كانت تتجه الى مخالفة ما يأمر به الله والعقل فذلك هو الهوى ، ويجب أن تخالفه .

فعلى سبيل المثال :

إن نفسك قد تدعوك لإساءة الظن بفلان المؤمن لأنه قال كلمة فيك ، فمخالفة هوى نفسك تقتضي أن تحافظ على ثقتك بأخيك ، وأن تسير على هدى الرب والعقل ، فهما يأمرانك بأن لا تظنّن كلمة خرجت من أخيك سوءاً ، وأنت تجد لها في الخير محتملاً .

مثال آخر :

وقد يمنّ الله على أخيك بنعمة ، فتهول لك نفسك أن تتمنى زوال النعمة عن أخيك وانتقالها إليك ، فمخالفة الهوى تقتضي أن تفرح ، وأن تشكر الله على أنه أنعم على أخيك بهذه النعمة ، وتسأله ـ عز وجل ـ أن يديم النعم عليه ، لا أن تتمنى زوالها منه .

مثال ثالث :

وقد تتناقش مع طرف آخر فيتبين لك خطؤك فتصرّ على أنك لست مخطئاً بل مصيباً ، وهذا إتباع لهوى النفس ، ومخالفته تقتضي أن تُسَلّم بخطئك إذا كنت مخطئاً .

اعرف حقّ نفسك

كان مالك الاشتر ضخم الجثة ، طويل القامة ، يرتدي قميصاً وعمة ، قد طبعت الحرب على وجهه آثارها ، وعلمته بعلائمها ، وحكت عن بطولاته في ميادينها بتقاسيم وجهه .

بينما كان يمشي ذات يوم في سوق الكوفة وإذا بأحد السوقة تحدثه نفسه بالازدراء به والاستهزاء بزيّه ، فرماه ببندقه ، وبدون أن يعيره الاشتر التفاتاً واصل السير حتى توارى عن الأنظار .

عندها قيل للسوقي : ويحك ، أتعرف من رميت ؟!

ـ لا ، لم أعرفه ، عابر مثل آلاف المارة .

ـ إنه مالك الأشتر النخعي صاحب أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) وقائد جيشه .

ـ أهذا هو مالك الذي ترتعد فرائص الاسد خوفاً منه ، ويرتجف العدو من اسمه ؟!

ـ نعم ، هو بعينه .

فهرول الرجل من ساعته راكضاً خلف مالك ليعتذر اليه عما بدر منه . إلا أن مالكاً كان قد دخل أحد المساجد ، فلما وصل الرجل وجده قائماً يصلي ، فلما انتهى من صلاته انكب الرجل على قدميه يقلبهما . فقال له مالك : ما هذا ؟

ـ أعتذر إليك عما صدر مني ، أنا الذي استهزأت بك وتجرأت عليك !

ـ لا بأس عليك ، فوالله ما دخلت المسجد إلّا لاستغفرن لك[1] .

* * *

هذه القصة تعطي درساً في جانب احترام الناس ، وعدم السخرية بهم وازدرائهم وايذائهم ، إلّا أن حق أنفسنا علينا أن نجعل كل جوانب تصرفاتنا في الحياة ـ ومنها تعاملنا مع الناس ـ مرضية لله تعالى . فلا نؤذي الآخرين بألسنتنا ، وأسماعنا ، وأبصارنا ، وأيدينا ، وأرجلنا ، وبطوننا ، وفروجنا ، لأن إيذاءهم ذو جانبين : إيذاء لهم ، وإيذاء لأنفسنا لأننا هضمناها حقوقها .

يقول الإمام زين العابدين (ع) في رسالة الحقوق :

« وحق نفسك عليك : أن تستعملها بطاعة الله عز وجل .

وحق اللسان : إكرامه عن الخنى ، وتعويده الخير ، وترك الفضول التي لا فائدة لها ، والبرّ بالناس ، وحسن القول فيهم .

وحق السمع : تنزيهه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحلّ سماعه .

وحق البصر : أن تغضه عما لا يحل لك ، وتعتبر بالنظر به .

وحق يدك : أن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك .

---

(١) سفينة البحار ، مادة ستر ، ص ٦٨٦ .

وحق رجليك : أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك ، فبهما تقف على الصراط ، فانظر أن لا تزل بك فتتردى في النار .

وحق بطنك : أن لا تجعله وعاء للحرام ، ولا تزيد على الشبع .

وحق فرجك : أن تحصنه عن الزنا ، وتحفظه من أن ينظر اليه »[1] .

ومعرفة حق النفس تتطلب معرفة النفس ، لأن من لا يعرف نفسه حق المعرفة لا يستطيع أن يعطيها حقها . ومتى ما عرف الانسان نفسه سهل عليه أن يعرف غيره ، ومتى ما أحسن تعامله مع نفسه ، فإنه يحسن معاملة الآخرين .

يقول الإمام علي (ع) :

« من عرف نفسه كان لغيره أعرف »[2] .

والامثلة على مخالفة الهوى وضرورته ـ فيما يرتبط بمجمل حياة الانسان بشكل عام وفيما يرتبط بالتعامل مع الناس بشكل خاص ـ الأمثلة على ذلك ليس لها عدّ ولا حصر ، بل أن الشيطان قد يدخل الى نفس الإنسان من أتفه القضايا ويزين له طريق الهوى . وبمعرفة القاعدة الاساسية وهي مخالفة هوى النفس يمكن للانسان أن يتعامل مع ربه ، ومع نفسه ، ومع الناس . ومتى ما خالف هواه انعكست آثار ذلك على مجمل جوانب حياته ، ومن تلك الجوانب ، التعامل مع الناس والعشرة معهم . فمن يخالف هواه تكن معاملته للناس معتمدة على استخدام الانصاف معهم ، وإعطائهم حقوقهم ، وتقديرهم ، واحترامهم ، والتواضع لهم .

---

(١) مكارم الأخلاق ، ص ٤١٩ .

(٢) ميزان الحكمة ، ج ٦ ، ص ١٤١ .

راقب نفسك وحاسبها

جاء رجل إلى النبي (ص) وشكا إليه أذى من جاره ، فقال له النبي (ص) : اصبر لعله يغيّر طريقته . وبعد جاءه مرة ثانية ، فقال له النبي (ص) : اصبر !

ثم جاء مرة ثالثة فقال له النبي : إذا كان يوم الجمعة اخرج أثاث بيتك ، وضعه على قارعة الطريق حتى يراه من يذهب لصلاة الجمعة ، فإذا سألوك فأخبرهم بالخبر . ففعل الرجل بوصية الرسول (ص) ، فأتاه جاره معتذراً ، وقال له : ردّ متاعك إلى بيتك فلك الله عليّ أن لا أعود[1] .

* * *

أرأيت الواحد منا كيف يراقب الآخرين ، ويحاسبهم على ما يقومون به من أعمال وتصرفات ترتبط به ، فيكون دقيقاً معهم . إن هذه الحالة يجب أن تكون ـ في الدرجة الأولى ـ مع النفس ، بحيث تكون أول المراقبين والمحاسبين . إن الواحد منّا إذا كان له شريك في عمل أو ملك ، فإنه يحاسبه بدقة ، وإذا كان له خصم فإنه يطالبه بأداء حقوقه كاملة غير منقوصة ، فهلاّ

(١) أصول الكافي ، ج ٢ ، ص ٦٦٨ ، باب حق الجوار .

تعاملنا مع أنفسنا على هذا المنوال ! ان حب الذات ، والخضوع للأهواء يجعلان الانسان يستهين بأخطائه ، وقد لا يعتبرها أخطاءاً ، فهلّا نكون منصفين مع أنفسنا !

يقول الإمام علي (ع) :

« جاهد نفسك وحاسبها محاسبة الشريك شريكه ، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه »[1] .

ومجاهدة النفس ، ومخالفة هواها ، ومراقبتها ومحاسبتها ، هي معاناة ومرارة ، إلّا أن هذه المعاناة والمرارة هي متعة يفتقر إليها كل من لا يجاهد نفسه ، وهي تنتج آثاراً وثمرات يانعة في الدنيا والآخرة .

ثمرات مجاهدة النفس

كما النبتة التي تُراعى حق الرعاية ، تعطي ثمارها ، وكما مجاهدة العدو بقوة وإخلاص تعطي انتصاراً ، كذلك أن مجاهدة النفس ، وحسن التعامل والعشرة معها تعطي آثاراً وثمرات تنعكس على الانسان وتصرفاته وسلوكه ، ومن تلك الآثار والثمرات ما يلي :

١ ـ قهر النفس .

٢ ـ تزكيتها وتطهيرها وتنميتها .

٣ ـ كمال العقل .

٤ ـ استكمال ثواب الرب .

٥ ـ ملك النفس .

---

(١) ميزان الحكمة ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

٦ ـ زمّها عن المعاصي .

٧ ـ عصمتها في موارد الشر .

٨ ـ ردعها .

٩ ـ انطلاقها في الخير والحق .

١٠ ـ ارتفاع الدرجة .

١١ ـ الصلاح .

١٢ ـ التغلب على العادات السيئة .

١٣ ـ التحلي بالأخلاق والعادات الحسنة .

١٤ ـ حلول الحكمة .

١٥ ـ فرار الشيطان .

١٦ ـ إكمال التقى .

١٧ ـ حسن المعاملة مع الناس .

موجز :

ويمكن إيجاز مجموعة من قواعد التعامل والعشرة مع النفس في الآتي :

١ ـ ملازمة تقوى الله والورع عن محارمه .

٢ ـ مجاهدة النفس وهواها .

٣ ـ جعلها عدواً يجاهد .

٤ ـ مراقبتها .

٥ ـ محاسبتها ولومها .

٦ ـ اصلاح سريرتها .

٧ ـ اصلاح علانيتها .

٨ ـ اختيار الخير ، وترك الباطل .

٩ ـ لزوم العقل .

١٠ ـ جهادها بالعلم .

١١ ـ عدم ائتمانها .

١٢ ـ تجنب خدعها .

١٣ ـ سياستها (حسن قيادتها) .

١٤ ـ رياضتها (ترويضها على طاعة الله) .

١٥ ـ تنزيهها عن الفجور والشر .

١٦ ـ استدراك فسادها .

١٧ ـ الاشتغال بعيوبها .

١٨ ـ ذمّها .

١٩ ـ عدم الرضا عنها .

٢٠ ـ الاستعانة بالحق عليها .

٢١ ـ تعاهد النقص فيها .

٢٢ ـ إجهادها وعدم الرفق بها .

٢٣ ـ عدم التسامح معها .

٢٤ ـ عدم ظلمها .

٢٥ ـ عدم غشها .

٢٦ ـ عدم إضلالها .

٢٧ ـ الرد منها عند الشهوات .

٢٨ ـ إقامتها على كتاب الله عند الشبهات .

٢٩ ـ تهذيبها وتأديبها .

٣٠ ـ ترك العادات السيئة .

٣١ ـ التحلي بالأخلاق الفاضلة .

٣٢ ـ عدم مخالطة ابناء الدنيا وقرناء السوء .

٣٣ ـ كن نفسك .

٣٤ ـ إعرف نفسك .

٣٥ ـ كن طبيب نفسك .

٣٦ ـ تقبل النقد البناء من الآخرين .

فلكي نحسن معاملتنا لأنفسنا ، ولكي تنعكس آثار ذلك على معاملتنا للناس ، وعلى مجمل جزئيات حياتنا ، خليق بنا أن نلجم أنفسنا بلجام العقل والدين ، ونطبق القواعد المذكورة النابعة منهما .

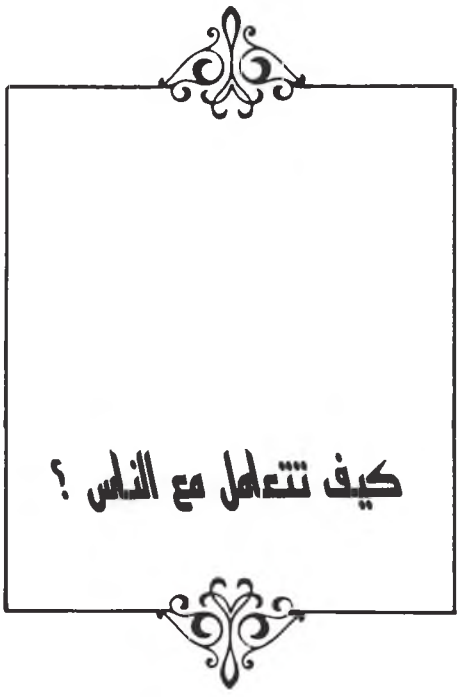
كيف تتعامل مع الناس ؟

مقدمة

يقول الله تعالى في القرآن الحكيم :

﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر ، وأنثى ، وجعلناكم شعوباً ، وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[1] .

ويقول الإمام الباقر (ع) :

« صانع المنافق بلسانك ، واخلص مودتك للمؤمن ، وإن جالسك يهودي ، فاحسن مجالسته »[2] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« بحسن العشرة تدوم المودة »[3] .

ويقول (ع) أيضاً :

---

(١) سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

(٢) تحف العقول ، ص ٢١٣ .

(٣) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٢٤٦ .

« بحسن العشرة تأنس الرفاق »[1] .

ويقول الرسول الأعظم (ص) :

« أحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلماً »[2] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم ، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم »[3] .

أصالة وضرورة العلاقات الاجتماعية

من نعم الله العظيمة على الانسان ، أن جعله اجتماعياً بالفطرة ، ومن هنا جاءت تسميته بالانسان ، وهي من تأنّس ، وتألّف ، وضد توحّش ، وعليه فإن الانسانية تعني الاجتماع ، والتآلف ، والإلفة ، وضد الوحشية ، ولأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فطر الانسان على الاجتماع ، وحبه ، فإنه كرّس في كتابه الحكيم ضرورة الاجتماع مع عباده . وهكذا الحال بالنسبة لسنة الرسول الأعظم (ص) ، وروايات أئمة أهل البيت (ع) ، إذ نجد الكثير من الأحاديث والروايات الشريفة ، التي تحث الانسان على الاجتماع بالناس ، وحسن المعاملة والعشرة معهم ، والتودد لهم ، ومعرفة طبيعتهم البشرية ، وذكرهم بالحسن ، وعدم التكلف معهم ، باعتبار أن المعاملة لا تتم إلا عن طريق الاتصال ، وأن الاجتماع ميدان واسع لذلك الاتصال ، وهو ساحة كبيرة لاختبار حكمة الناس ، وعقلانيتهم ، في التصرف ، والسلوك الفردي ، والاجتماعي .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) ميزان الحكمة ، ج ٦ ، ص ٣١٨ .

(٣) المصدر ، ص ٣١٧ .

وبما أن الله تعالى فطر الانسان على الاجتماع ، والإلفة مع الناس ، وخلق العلاقات الاجتماعية والصداقات معهم . فالجدير بالانسان أن يعي الجانب الاجتماعي ـ في حياته ـ جيداً ، لكي يتعامل مع الناس وفق الأسس الاجتماعية الإلهية ، ليكون سعيداً في حياته ، ومحبوباً بين بني البشر ، وبالتالي مرضياً عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ باعتبار أن الخلق هم عيال الله ، والتآلف معهم ، وخدمتهم ، خدمة الله .

أما الأهداف من الاجتماع فواضحة ، فبه يتم التعاون بين الناس من أجل توفير متطلبات المعيشة ، ومن أجل عمارة الأرض ، وتبليغ رسالات الله . بل لولا الاجتماع لتعطلت مسيرة الحياة . ومن هنا كان التعامل مع الناس قضية ضرورية هامة ، ولأنها ضرورية ، فهي يجب أن تكون تحت إمامة الدين والعقل والحكمة ، لكي تأتي ثمرات التعامل بنّاءة ومثمرة .

فإذ كان التعامل مع الناس بحكمة ، قضية حياتية هامة باعتبار أن سعادة الانسان لا تقاس بمفرده ، وإنما بنجاحه في الاجتماع بالناس ، فكيف نتعامل معهم ؟

وفي الحقيقة لو أن الانسان طبق المبادىء ، والقيم الاجتماعية في الاسلام ، لسعد في حياته مع الناس . ولو أنه استفاد من عقله على الوجه الأصلح ، لاكتشف بنفسه الطريقة الفنية والحسنة في تعامله معهم ، باعتبار أن الحكمة هي العقل . وما نورده هنا من قواعد في التعامل الحكيم مع الناس ليس إلا اهتداء بالرؤى الاسلامية ، من القرآن ، والأحاديث الشريفة ، وروايات أهل البيت ، وتذكيراً بها ، وبدور العقل في توجيه التصرفات الانسانية ، وإقامتها ، ووقايتها من اللا حكمة والجهل والانحراف .

وكيف تتعامل مع الناس سؤال يمكن الاجابة عليه باختصار : أن المعاملة

معهم يجب أن تقوم على أساس ما أمر الله به ، واستخدام العقل على الوجه الأصلح . أما من حيث التفاصيل فهو سؤال واسع يشمل عدداً كبيراً من القضايا ، وهنا نذكر مجموعة من الجوانب الهامة في التعامل .

فلكي تتعامل مع الناس بحكمة ، وتكسبهم ، وتؤثر فيهم ، يجدر بك أن تتبع التذكرات ، والتوصيات ، والقواعد الآتية :

التقوى ! التقوى !

يقول تعالى :

﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم ﴾[1] .

ويقول ـ تعالى ـ أيضاً :

﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولي الألباب ﴾[2] .

ويقول الإمام علي (ع) : « التقوى رئيس الأخلاق »[3] .

قد تسأل : ما هي علاقة التقوى بالتعامل مع الناس ؟ .

وقبل الاجابة على السؤال من المهم تعريف التقوى . إن التقوى هي حالة الخوف ، والرهبة ، والخشية من الله العزيز القهار ، وهي الحالة الباعثة على

(١) سورة التوبة ، آية : ١٠٩ .
(٢) سورة البقرة ، آية : ١٩٧ .
(٣) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٤١٢ .

اجتناب الآثام والأخطاء .

التعامل على أساس التقوى :

إذا عرفنا التقوى هكذا ، وتصورنا إنساناً لا يحمل نسبة من هذه الحالة من الخوف ، والرهبة ، والخشية من الله ، فماذا نتوقع منه غير الانحراف الاجتماعي ، والإجرام ، وسوء المعاملة مع الناس ، وبعبارة أخرى : فعل أي شيء دون حياء ، ودون مراعاة للعقل ، والشرع ، والحق ، والضمير ؟

وهذا التعريف يقودنا إلى التذكير بهذه النقطة الأساسية ، وهي :

إن خوف الانسان يجب أن يكون من الله وحده ، لأنه الخالق المصور ، والعزيز الجبار ، لا من البشر ، وإن احترامه للقوانين الإلهية يجب أن لا يكون نابعاً من خوفه من ذات القوانين ، أو من القائمين على تنفيذها ، بل يجب أن يكون نابعاً من امتثاله لله من جهة ، وخوفه منه ، من جهة أخرى . ان هناك قسماً من الناس يلتزم بالقوانين الإلهية ، خوفاً من الأمور التي قد تصيبهم في الحياة الدنيا نتيجة مخالفتها ، وهذا في حد ذاته أمر حسن . ولكن الخوف الحقيقي يجب أن يكون من الله تعالى وحده ، سواء فيما يرتبط بالدنيا ، أو فيما يرتبط بالآخرة .

يقول الإمام علي (ع) :

« إلهي ! ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك ، ولكني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك »[1] .

وصحيح أن إيماننا بوجود النار في يوم القيامة ، والعذاب الشديد فيها يدعونا إلى عدم مخالفة القوانين الإلهية لكي نتجنب النار ، وصحيح أيضاً أن

---

(١) الغرر والدرر .

ايماننا بوجود الجنة ، وما فيها من نعيم مقيم يدعونا أيضاً إلى عدم مخالفة تلك القوانين للفوز بالجنة ، إلا أن إيماننا يجب أن ينطلق من أهلية الله ـ عز وجل ـ للعبادة ، أولاً ، وقبل كل شيء ، لا من مصلحتنا ، لأن في أهلية الله للعبادة ، مصلحة لنا على كل حال .

يقول الإمام علي (ع) :

« إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار ، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار » .[1]

فهلا عبدنا الله شكراً ؟

وتقوى الله لا تنحصر في مجال العبادات ، بل هي ، زاد ، وشحنات من الوقود الروحي ، والمراقبة للذات ، وأساس تقوم عليه كل العبادات ، والمعاملات ، والعقود ، وكل ممارسات الانسان ـ في هذه الحياة ـ بشتى صورها ، وأشكالها .

ومن ممارسات الانسان في الحياة ، أنه يختلط مع بني جنسه ، وتنشأ بينه وبينهم أضراب من المعاملات ، كالمعاملات الاقتصادية ، والاجتماعية الأخوية ، ولكي يصون هذه الممارسات ، والعلاقات الاجتماعية من الانحراف ، فإنه بحاجة إلى حالة التقوى .

يقول الإمام علي (ع) :

« التقوى مفتاح الصلاح »[2] .

من جهة أخرى ان التقوى هي رأس الحكمة .

---

(١) الدليل على موضوعات نهج البلاغة ، ص ١٦٨ .

(٢) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٤١٢ .

يقول الإمام زين العابدين (ع) :

« رأس الحكمة مخافة الله »[1] .

والرأس من الشيء أعلاه ، أو مقدمته وأوله . فعلى هذا تكون التقوى المدخل ، والمقدمة للحكمة ، وأعلى مراتب الحكمة في نفس الوقت .

وعليه فإن حالة التقوى في الانسان ، هي التي تجعله يلتزم بجوانب الخير ، وتقويها فيه ، وهي التي تجعله يجتنب جوانب الشر ، وتبعده عنها ، وهي الحالة التي تجعله يراعي القيم في تعامله مع الآخرين ، فيحترمهم ، ويقدرهم ، ويتعاون معهم ، ولا يظلمهم ، ولا يغتابهم ، ولا ينم لهم ولا عليهم ، ولا يؤذيهم بلسانه ، ويده ، ولا يحسدهم ، ولا يتكبر عليهم ، ولا يحقد عليهم ، ولا يخونهم ، ولا يسلمهم في النكبات . وهي الحالة التي تجعل الانسان يحب إخوانه ، ويداريهم ، ويصدقهم ، ويواسيهم ، وتجعله رقيباً على نفسه في الالتزام بالفضائل والأخلاقيات الحسنة ، والابتعاد عن الرذائل ، والموبقات . وبكلمة : ان التقوى ، علاوة على أنها أساس كل بنيان خيّر ، وكل معاملة حسنة ، هي قائدة كل خلق حسن ، وجنّة واقية من كل رذيلة . ومتى ما استيقظت ، ونمت في الانسان ، انتظمت أمور دنياه ، وآخرته .

* * *

يذكر التاريخ أن رجلاً دخل على بيت ليسرقه ، وبينما هو كذلك إذا به يسمع تالياً للقرآن ،

يقول :

---

(١) ميزان الحكمة ، ج ٢ ، ص ٤٩٦ .

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ ؟[1] .

فما أن سمع هذه الآية ، حتى استيقظت حالة التقوى في نفسه ، وجرت آثارها في لحمه ، ودمه ، وشرايينه ، وأحس بقشعريرة في جلده ، فقفل راجعاً منكسراً ، نادماً على ما فعل . ثم تاب الى الله توبة نصوحاً ، وأصبح من الزاهدين العباد . وبذلك أصبحت حالة التقوى ، والخوف من الله ، والخشوع له ، رادعاً له من ارتكاب الجريمة ، وحاثاً له على الالتزام بالفضيلة .

* * *

ولنضرب على ضرورة التقوى في التعامل مع الآخرين بعض الأمثلة :

١ / شخص يدخل معك في معاملة اجتماعية ، وفي أثناء المعاملة يحصل بينك وبينه سوء تفاهم ، كاختلاف على فكرة معينة ، أو ما شابه ذلك . إن من المحتمل أن ذلك الاختلاف يولد نوعاً من الحقد في نفسك على ذلك الشخص ، خاصة إذا كانت المسألة ترتبط بذاتك وكبريائك . ولكن حالة التقوى تحثك على الوقاية من تسلل الحقد الى نفسك ، وإذا تسلل اليها ، فإن حالة التقوى تدعوك إلى تحطيم ذلك الحقد ، وفتح صفحة جديدة .

يقول الإمام علي (ع) :

« أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما »[2] .

٢ / يحدث أن تزور دكتوراً للأسنان مثلاً ، من أجل معالجة أسنانك ، فيقوم الدكتور بمعالجتك ، وبعد الانتهاء تغادر العيادة دون أن تسلم للدكتور

---

(١) سورة الحديد ، آية : ١٦ .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٥٢٢ .

تكاليف المعالجة ، نسياناً منك . وحالة التقوى ـ وبناء على أن الحق يجب أن يعطى لأهله ـ هي التي تدعوك لأداء الدين عليك ، فتأتي إلى عيادة الدكتور ، وتسلمه حقه بكل أمانة .

٣ / تسير في الشارع ، فيحدث أن يسقط على الأرض شيء لإنسان ما ، سواء كان هذا الشيء زهيداً ، أو ثميناً ، وحالة التقوى تجعلك تسلم هذا الشيء لصاحبه .

وهكذا قس على ذلك المعاملات الأخرى ، الكبيرة منها ، والجزئية ، هي بحاجة إلى التزام تقوى الله ، والخوف منه ، ومتى ما اتقى الانسان ، ربه بوركت أعماله ، وازداد الانعام عليه ، ولذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾[١] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« إن تقوى الله عمارة الدين ، وعمارة اليقين ، وإنها لمفتاح صلاح ، ومصباح نجاح »[٢] .

« من أشعر قلبه التقوى فاز عمله »[٣] .

« الجأوا إلى التقوى فإنه جنة منيعة ، من لجأ إليها حصنته ، ومن اعتصم بها عصمته »[٤] .

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .
(٢) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٤١٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤١٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٤١٣ .

« التقوى : أن يتقي المرء كل ما يؤثمه »[1] .

فلكي تضمن الحكمة في تعاملك مع الناس ، عليك بتقوى الله في السر والعلن ، وفي الخلوة ومع الناس ، واعلم أن في التزام التقوى انتظام أمور الانسان في هذه الحياة ، والفوز بالدار الآخرة .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٣ .

الأخلاق ! الأخلاق

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« يـا بني عبد المـطلب ! إنكم لن تسعوا النـاس بأمـوالكم ، فسعـوهم بأخلاقكم »[1] .

ويقول الامام علي (ع) :

« من لم تحسن خلائقه لم تحمد طرائفه »[2] .

ويقول (ع) أيضاً :

« الخلق المحمود من ثمار العقل »[3] .

قد لا تملك مالاً ، أو قد يكون المال الذي تملكه لا يغطي متطلباتك ، ومنها المتطلبات الاجتماعية ، لكي تساعد هذا ، وتواسي ذاك ، وتتصدق على ثالث . ولا شك أن للمال دور كبير لا ينكر في الحياة ، إلا أنه ليس كل شيء .

(١) بحار الأنوار ، ج ٧١ ، ص ١٦٩ .
(٢) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٩٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٩٥ .

فحينما تجد أن مالك لا يسع الآخرين ، فهناك جانب آخر يمكنك أن تسعهم به ، وهو جانب ذو إطار واسع . ألا وهو الجانب الأخلاقي ، فبكلماتك المؤدبة ، وآدابك السمحة ، ونفسك المهذبة ، وتصرفاتك السوية ، يمكنك أن تجمع الناس من حولك .

وفي الحقيقة أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ شرع الأخلاق لتنظيم ، وتسوية السلوك الانساني ، ولكي يبقى الناس يتعاملون مع بعضهم البعض ، بشكل يحقق لهم السعادة ، والرفاه في الحياة الدنيا ، والرضوان في دار السلام .

إلا أن قسماً من الناس يتصور أن الأخلاق ما هي إلا تكتيكات مؤقتة للضحك على ذقون الناس ، والانتفاع منهم ، وتحقيق المصالح الذاتية . ولكن تأبى الأخلاق أن تكون كذلك . فهي استراتيجية دائمة ـ إن صح التعبير ـ وهي ـ في البداية ـ تتطلب كنس للمشوائب والرواسب النفسية العالقة ، ثم هي عملية عطاء للناس قبل أن تكون عملية أخذ ، سواء كان العطاء والأخذ معنويين ، أو ماديين .

ومن هنا فإن من يحسب أن الأخلاق مجرد مقدمات للأخذ من الناس فقط ، واقع في الفهم الخاطىء لحقيقة الأخلاق ، والواجب عليه أن يعيد النظر في ذلك الفهم ، لكي تأتي ممارسته أخلاقية خالصة لوجه الله تعالى .

كما أن الاتصاف بالأخلاق ، وممارستها يتطلب من الانسان تهيئة نفسه من الداخل لذلك ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه صدق النية ، أو إصلاح السريرة ، فإذا كانت السريرة غير صالحة ، والظاهر صالح ، فإن ممارسات الانسان تصبح متكلفة ، إذ أنها متناقضة مع داخله ، وبالتالي قد تؤدي به إلى النفاق ، والعياذ بالله . وكذلك إذا كانت السريرة صالحة ، والظاهر غير صالح ، فإن ممارسات الانسان تكون خلاف سريرته . وفي كلتي الحالتين يحتاج سلوك

الانسان وتصرفه إلى تقويم ، وتسوية ، لكي لا يصاب بالتناقض بين ظاهره ، وسريرته .

يقول الامام علي (ع) :

« طوبى لمن ذل نفسه ، وطاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وحسنت خليقته ، وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من لسانه ، وعزل عن الناس شره ، ووسعته السنة ، ولم ينسب إلى البدعة »[1] .

وأساس الأخلاق الحسنة ، والتصرف السوي ، والمعاملة الحسنة أن يصلح المرء بينه وبين الله ، لكي يصلح الله بينه وبين الناس .

يقول الامام علي (ع) :

« من أصلح ما بينه وبين الله ، أصلح الله ما بينه وبين الناس »[2] .

وتعتبر الأخلاق الحسنة من أهم مقومات التعامل الاجتماعي الحسن مع الناس ، بل هي من أهم مقومات سعادة الانسان .

يقول الامام علي (ع) :

« من حسنت خليقته طابت عشرته »[3] .

« بحسن الخلق يطيب العيش »[4] .

كما أن الأخلاق تورث المحبة للانسان ، وتؤكد المودة ، وهذا هو السر

---

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٩٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٨٣ .
(٣) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٩٤ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٩٥ .

في أن الأخلاقيين يتمتعون بحب الناس وودهم ، وإجتماعهم عليهم .

يقول الامام علي (ع) :

« حسن الخلق يورث المحبة ويؤكد المودة »[1] .

ويقول عليه السلام أيضاً :

« من حسن خلقه كثر محبوبه ، وأنست النفوس به »[2] .

« من ساء خلقه أعوزه الصديق والرفيق »[3] .

فلكي تتعامل مع الناس بحكمة :

تحلّ بمكارم الأخلاق ، و « تخيّر لنفسك من كل خلق أحسنه ، فإن الخير عادة »[4] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٩٦ .

اعط الناس حقوقهم

استعدى رجل على عليّ بن أبي طالب (ع) عمرَ بن الخطاب ، وعليّ جالس ، فالتفت إليه فقال : قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك . فقام فجلس معه ، وتناظرا ، ثم انصرف الرجل ورجع عليّ إلى محله ، فتبيّن عمر التغيير في وجهه فقال : يا أبا الحسن ، ما لي أراك متغيراً ؟ أكرهت ما كان ؟ قال : نعم . قال : وما ذاك ؟ قال : كنّيتني بحضرة خصمي ، هلّا قلت : قم يا علي فاجلس مع خصمك ! فاعتنق عمر عليّاً ، وجعل يقبّل وجهه ، وقال : بأبي أنتم ! بكم هدانا الله ، وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور .

تعتبر العدالة أمّاً لكثير من الفضائل والصفات ، أي عن طريق إحلالها في النفس يتمكن الانسان من التحلي بالعديد من المناقب والفضائل . ويعرّفها بعض الفقهاء بأنها الملكة الباعثة على ملازمة تقوى الله والخوف منه . وهناك من يرى أن العدالة هي كمال القوى العملية (قوة الغضب ، وقوة الشهوة) .

وباعتبار أن العدل هو إعطاء كل ذي حق حقه ، فإن إعطاء الحقوق لمستحقيها هو أبرز وجوهه . ولو أن كلاً منّا أعطى كل شيء حقه ـ في الحياة ـ وأعطى الآخرين حقوقهم بشكل عادل ، لانتظمت أمور حياته ، واستطاع أن

يحرز النصيب الوافي فيما يرتبط بالتعامل مع الناس وكسبهم والتأثير فيهم .

وهنا ذكر للحقوق[1] ، كما هي مرويَّة عن الامام علي بن الحسين (ع) :

« حق الله الأكبر عليك : أن تعبده ولا تشرك به شيئاً ، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة » .

« وحق نفسك عليك : أن تستعملها بطاعة الله عز وجل » .

« وحق اللسان : إكرامه عن الخنى ، وتعويده الخير ، وترك الفضول التي لا فائدة لها ، والبرّ بالناس وحسن القول فيهم » .

« وحق السمع : تنزيهه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحل سماعه » .

« وحق البصر : أن تغضّه عما لا يحلّ لك وتعتبر بالنظر به » .

« وحق يدك : أن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك » .

« وحق رجليك : أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ لك ، فبهما تقف على الصّراط فانظر أن لا تزلّ بك فتتردّى في النار » .

« وحق بطنك : أن لا تجعله وعاء للحرام ، ولا تزيد على الشبع » .

« وحق فرجك : ان تحصنه عن الزنا ، وتحفظه من ان ينظر اليه » .

« وحق الصلاة : أن تعلم أنها مرقاة إلى الله ـ عز وجل ـ وإنك فيها قائم بين يدي الله ـ عز وجل ـ ، فإذا علمت ذلك ، قمت مقام الذليل ، الحقير ، الراغب ، الراهب ، الراجي ، الخائف ، المسكين ، المستكين ، المتضرع ، المعظم لمن كان بين يديه بالسّكون والوقار ، وتقبل عليها بقلبك ، وتقيمها بحدودها وحقوقها » .

---

(١) مكارم الأخلاق ، ص ٤١٩ ـ ٤٢٤ .

« وحق الحج : أن تعلم أنه وفادة إلى ربك ، وفرار إليه من ذنوبك ، وفيه قبول توبتك ، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك » .

« وحق الصوم : أن تعلم أنه حجاب ضربه الله ـ عز وجل ـ على لسانك ، وسمعك ، وبصرك ، وبطنك ، وفرجك ليسترك به من النار ، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك » .

« وحق الصدقة أن تعلم أنها ذخرك عند ربك ـ عز وجل ـ ، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الاشهاد عليها ، وكنت بما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانية ، وتعلم أنها تدفع البلاء والأسقام عنك في الدنيا ، وتدفع عنك النار في الآخرة » .

« وحق الهدي : أن تريد به الله ـ عز وجل ـ ، ولا تريد به خلقه ، ولا تريد به إلّا التعرض لوجه الله ـ عز وجل ـ ونجاة روحك يوم تلقاه » .

« وحق السلطان : أن تعلم أنك جعلت له فتنة ، وأنه مبتلي فيك بما جعله الله ـ عز وجل ـ له عليك من السلطان ، وأن عليك أن لا تتعرض بسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة ، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء » .

« وحق سائسك بالعلم : التعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع إليه ، والاقبال عليه ، وأن لا ترفع صوتك عليه ، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب ، ولا تحدث في مجلسه أحداً ، ولا تغتاب عنده أحداً ، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء ، وأن تستر عيوبه ، وتظهر مناقبه ، ولا تجالس له عدوّاً ، ولا تعادي له وليّاً ، فإذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله بأنك قصدته ، وتعلمت علمه لله ـ جل اسمه ـ لا للناس » .

(*) ان من التعرض لسخط السلطان ، السكوت على ظلمه ، وفي ذلك القاء باليد إلى التهلكة ، ومشاركة له فيما يرتكب من مساوىء .

« وأما حق سائسك بالملك : فأن تطيعه ، ولا تعصيه إلاّ فيما يسخط الله ـ عز وجل ـ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

«وأما حق رعيّتك بالسلطان : فأن تعلم أنهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوتك ، فيجب أن تعدل فيهم ، وتكون لهم كالوالد الرحيم ، وتغفر لهم جهلهم ، ولا تعاجلهم بالعقوبة ، وتشكر الله ـ عز وجل ـ على ما آتاك من القوة عليهم » .

« وأما حق رعيّتك بالعلم : فأن تعلم أن الله ـ عز وجل ـ إنما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم وفتح لك من خزائنه ، فإن أحسنت في تعليم الناس ، ولم تخرق بهم ، ولم تتجبر عليهم ، زادك الله من فضله . وإن أنت منعت الناس علمك ، أو خرقت بهم عند طلب العلم منك ، كان حقاً على الله ـ عز وجل ـ أن يسلبك العلم وبهاءه ، ويسقط من القلوب محلّك » .

« وأما حق الزوجة : فأن تعلم أن الله ـ عز وجل ـ جعلها لك سكناً وأنساً ، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك ، فتكرمها ، وترفق بها . وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها لأنها أسيرك ، وتطعمها ، وتسقيها ، وتكسوها ، وإذا جهلت عفوت عنها » .

« وأما حق مملوكك : فأن تعلم أنه خلق ربك ، وابن أبيك وأمك ، ومن لحمك ودمك ، لم تملكه لأنك صنعته دون الله ـ عز وجل ـ ، ولا خلقت شيئاً من جوارحه ، ولا أخرجت له رزقاً ، ولكن الله ـ عز وجل ـ كفاك ذلك ، ثم سخّره لك ، وائتمنك عليه ، واستودعك إياه ، ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه ، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك ، وإن كرهته استبدلته ، ولا تعذّب خلق الله ـ عز وجل ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

« وأما حق أمك : فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً ،

وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً ، ووقتك بجميع جوارحها ، ولم تبالِ أن تجوع وتطعمك ، وتعطش وتسقيك ، وتتعرى وتكسوك ، وتضحي وتظلّك ، وتهجر النوم لأجلك ، ووقتك الحرّ والبرد لتكون لها ، وأنك لا تطيق شكرها إلّا بعون الله وتوفيقه » .

« وأما حق أبيك : فأن تعلم أنه أصلك ، وأنه لولاه لم تكن ، فمهما رأيت في نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه ، فاحمد الله ، واشكره على قدر ذلك ، ولا قوة إلا بالله » .

« وأما حق ولدك : فأن تعلم أنه منك ، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره ، وأنك مسؤول عما ولّيته به من حسن الأدب والدلالة على ربه ـ عز وجل ـ والمعونة له على طاعته . فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الاحسان إليه ، معاقب على الإساءة إليه » .

« وأما حق أخيك : فأن تعلم أنه يدك ، وعزّك ، وقوتك ، فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله ، ولا عدة للظلم بخلق الله ، ولا تدع نصرته على عدوه ، والنصيحة له ، فإن أطاع الله وإلّا فليكن الله أكرم عليك منه ، ولا قوة إلا بالله » .

« وأما حق مولاك المنعم عليك : فأن تعلم أنه أنفق فيك ماله ، وأخرجك من ذلّ الرقّ ووحشته إلى عزّ الحرية وأنسها ، فأطلقك من أسر الملكية ، وفكّ عنك قيد العبودية ، وأخرجك من السجن ، وملّكك نفسك ، وفرّغك لعبادة ربك ، وتعلم أنه أولى الخلق بك ، في حياتك وموتك ، وأن نصرته عليك واجبة بنفسك ، وما احتاج إليه منك ، ولا قوة إلا بالله » .

« وأما حق مولاك الذي أنعمت عليه : فأن تعلم أن الله ـ عز وجل ـ جعل عتقك له وسيلة إليه ، وحجاباً لك من النار ، وأن ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم

يكن له رحم مكافأة بما أنفقت من مالك ، وفي الآجل الجنة » .

« وأما حق ذي المعروف عليك : فأن تشكره ، وتذكر معروفه ، وتكسبه المقالة الحسنة ، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله ـ عز وجل ـ فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية ، وإن قدرت على مكافأته يوماً ، كافيته » .

«وأما حق المؤذّن : فأن تعلم أنه مذكر لك ربك ـ عز وجل ـ ، وداع لك إلى حظك وعونك على قضاء فرض الله ـ عز وجل ، فاشكره على ذلك شكرك المحسن إليك » .

« وأما حق إمامك في الصلاة : فأن تعلم أنه يقلّد السفارة فيما بينك وبين ربك ـ عز وجل ـ ، وتكلم عنك ولم تتكلم عنه ، ودعا لك ولم تدع له ، وكفاك هول المقام بين يدي الله ـ عز وجل ـ فإن كان نقص كان بك دونك ، وإن كان تمام كنت شريكه ولم يكن له عليك فضل ، وحفظ نفسك بنفسه ، وصلاتك بصلاته ، فتشكر له على قدر ذلك » .

« وأما حق جليسك : فأن تلين له جانبك ، وتنصفه في مجاراة اللفظ ، ولا تقوم من مجلسك إلا بإذنه ، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير أذنك ، وتنسى زلّاته ، وتحفظ خيراته ، ولا تسمعه إلّا خيراً » .

« وأما حق جارك : فحفظه غائباً ، وإكرامه شاهداً ، ونصرته إذا كان مظلوماً . ولا تتبع له عورة ، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه ، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه ، ولا تسلمه عند شديدة ، وتقيل عثرته ، وتغفر ذنبه ، وتعاشره معاشرة كريمة ، ولا قوة إلا بالله » .

« وأما حق الصاحب : فأن تصحبه بالتفضل والانصاف ، وتكرمه كما يكرمك ، ولا تدعه يسبق إلى مكرمة ، فإن سبق كافأته ، وتودّه كما يودّك ، وتزجره عمّا يهمّ به من معصية الله . وكن عليه رحمة ، ولا تكن عليه عذاباً ،

ولا قوة إلا بالله » .

« وأما حق الشريك : فإن غاب كافيته ، وإن حضر رعيته ، ولا تحكم دون حكمه ، ولا تعمل برأيك دون مناظرته ، وتحفظ عليه من ماله ، ولا تخونه فيما عزّ أو هان من أمره ، فإن يد الله ـ عز وجل ـ مع الشريكين ما لم يتخاونا ، ولا قوة إلا بالله » .

« وأما حق مالك : فأن لا تأخذه إلاّ من حلّه ، ولا تنفقه إلاّ في وجهه ، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك ، فاعمل فيه بطاعة ربّك ، ولا تبخل فيه فتبوء بالحسرة والندامة مع التبعة ، ولا قوة إلا بالله » .

« وأما حق غريمك الذي يطالبك : فإن كنت موسراً أعطيته ، وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول ، ورددته عن نفسك ردّاً لطيفاً » .

« وحق الخليط : أن لا تغرّه ، ولا تغشّه ، ولا تخدعه ، وتتقي الله ـ تبارك وتعالى ـ في أمره » .

« وحق الخصم المدعي عليك : فإن كان ما يدّعي عليك حقاً كنت شاهده على نفسك ، ولا تظلمه ، وأوفيته حقه ، وإن كان ما يدّعي عليك باطلاً رفقت به ، ولا تأتي في أمره غير الرفق ، ولا تسخط ربك في أمره ، ولا قوة إلاّ بالله » .

« وحق خصمك الذي تدّعي عليه : فإن كنت محقاً في دعواك أجملت معاملته ، ولا تجحد حقه ، وإن كنت مبطلاً في دعواك اتقيت الله ـ عزّ وجل ـ ، وتبت إليه وتركت الدعوى » .

« وحق المستشير : إن علمت له رأياً حسناً أشرت عليه به ، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم » .

« وحق المشير عليك : أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه ، وإن وافقك حمدت الله ـ عز وجل » .

« وحق المستنصح : أن تؤدي إليه النصيحة ، وليكن مذهبك الرحمة والرفق به » .

« وحق الناصح : أن تلين له جناحك ، وتصغي إليه بسمعك ، فإن أتى بالصواب حمدت الله ـ عز وجل ـ ، وإن لم يوفق رحمته ، ولم تتهمه ، وعلمت أنه أخطأ ولم تؤاخذه بذلك إلاّ أن يكون مستحقاً للتهمة فلا تعبأ بشيء من أمره على حال ، ولا قوة إلاّ بالله » .

« وحق الكبير : توقيره لشيبه ، وإجلاله لتقدمه إلى الاسلام قبلك ، وترك مقابلته عند الخصام ، ولا تسبقه إلى طريق ، ولا تتقدمه ، ولا تستجهله ، وإن جهل عليك احتملته وأكرمته لحق الاسلام وحرمته » .

« وحق الصغير : رحمته في تعليمه ، والعفو عنه ، والستر عليه ، والرفق به ، والمعونة له » .

« وحق السائل : إعطاؤه على قدر حاجته » .

« وحق المسؤول : أنه إن أعطى فاقبل منه الشكر ، والمعرفة بفضله ، وإن منع فاقبل عذره » .

« وحق من سرّك بشيء لله تعالى : أن تحمد الله ـ عز وجل ـ أولاً ، ثم تشكره » .

« وحق من ساءك : أن تعفو عنه ، وإن علمت أن العفو يضرّ ، انتصرت ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمهِ فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ » .

« وحق أهل ملّتك : اضمار السلامة لهم ، والرحمة بهم ، والرفق بمسيئهم ، وتألفهم ، واستصلاحهم ، وشكر محسنهم ، وكف الأذى عنهم ، وأن تحب لهم ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك ، وأن يكون شيوخهم بمنزلة أبيك ، وشبانهم بمنزلة أخيك ، وعجائزهم بمنزلة أمّك ، والصغار بمنزلة أولادك » .

« وحق أهل الذمّة : أن تقبل منهم ما قبل الله ـ عز وجل ـ منهم ، ولا تظلمهم ما وفوا لله ـ عز وجل ـ بعهده » .

فإذا أردت أن تضمن أساساً هاماً من أسس التعامل مع الناس ، كن حكيماً في أن تجيد إعطاء الآخرين حقوقهم بشكل عادل .

تواضع للناس

ذات يوم مرّ الامام موسى بن جعفر (ع) برجل من أهل السواد ، ذميم المنظر ، وكان الامام راكباً فنزل من فرسه ، وجلس عنده ، ودخل معه في حديث طويل . وعندما أراد الابتعاد عنه قال له :

« هل لك حاجة نقضيها لك » ؟

فاستغرب بعض الحاضرين ، وقالوا :

يابن رسول الله ! أتنزل إلى هذا رغم منزلتك ، وشرفك ، وعلمك ؟ !

فقال الامام لهم :

« ولم لا ؟ إنه عبد من عبيد الله ، وأخ في كتاب الله ، وجار في بلاد الله ، يجمعنا وإيّاه خير الآباء آدم ، وأفضل الأديان الإسلام » .

* * *

ويروى أن الامام الرضا (ع) دعا إلى سفرة في خراسان ، فجمع عليها مواليه وعبيده من السود وغيرهم ، فقال له أحد المدعوّين من الأثرياء :

جعلت فداك ، لو عزلت هؤلاء (يعني الموالي والعبيد) .

فقال الامام (ع) له :

« صه يا هذا ! إن الرب ـ تبارك وتعالى ـ واحد ، والأم واحدة ، والأب واحد ، . . . » .

* * *

قد يسأل السائل فيقول :

ما التواضع ؟

ولمن نتواضع ؟

التواضع هو التذلل ، وعكس الاستعلاء والتكبر . وهو الخضوع النابع من الشعور بالقوة ، والعزة ، واحترام الآخرين ، وليس هو الذلة النابعة من الشعور بالنقص ، والضعف ، والحقارة ، والحاجة إلى الآخرين . فحينما يشعر الانسان أنه عبد كريم لله ، وان تواضعه لإخوانه المؤمنين إنما هو تواضع لله ، فإنه يشعر بالعزة والرفعة ، لا بالذلة والضعة .

إن قسماً من الناس يتصور أن التواضع إذلال للنفس في غير محلّه ، وهذا تصور خاطىء . وهناك قسم آخر من الناس يتكبرون ، ويستعلون إذا تذلل الآخرون لهم ، ويعمقون في الآخرين الشعور بالضعة ، وقد يتصورون أنهم أرفع منزلة من الآخرين ، وبذلك يستحقون تواضع الناس لهم ، وهذا خطأ أيضاً .

أما لمن نتواضع ، فالتواضع يجب أن يكون أولاً لله ، لأنه المتكبر الجبّار ، وخالقنا وبارؤنا من العدم ، ونحن عبيده الأذلاء له ، ثم للقيم والمبادىء الإلهية ، ثم للناس .

وهنا يبرز سؤال :

هل أن كل الناس جديرون بالتواضع لهم ؟

كلا !

إن الجديرين بالتواضع لهم هم الإخوان المؤمنون ، وعموم الناس الطيبين ، أيّن كان دينهم ، ولغتهم ، ولونهم ، وطبقتهم ، وقوميتهم ، أما الظالمون ، والمستكبرون ، والمتكبرون ، والمنافقون فليسوا خليقين بالتواضع لهم ، بل أن الإسلام يوجهنا إلى أن التكبر على المتكبر عبادة .

ويعتبر التواضع من الأسس الهامة في التعامل مع الناس ، وعن طريقه يستطيع الانسان أن يدخل إلى قلوبهم ، ويكسبهم ، ويجعلهم يحبونه ، وينجذبون إليه .

وأن تتواضع للناس ، هذه كلمة تشمل أموراً كثيرة ، منها : أن تجعل نفسك كأحدهم ، فهم يرغبون وينجذبون إلى من يتواضع لهم ويتذلل ، وينفرون ويبتعدون عمن يتكبر عليهم ويستعلي . ومن التواضع أن تقوم بما يقومون به ، وأن لا تتميز على أقرانك ـ فمقياس التميّز هو التقوى ـ وأن تعطي للناس ما تحب أن تعطى .

ولقد كان رسول الله (ص) في قومه ـ وهو النبي العظيم ـ كأحدهم ، وكان يعقل البعير ، ويكنس البيت ، ويحلب الشاة ، ويخصف النعل ، ويرفع الثوب بيديه ، ويأكل مع خادمه ، ويطحن عنه إذا تعب ، ويشتري من السوق ، ولا يمنعه الحياء أن يلعق الطعام بيده .

ومع الناس كان (ص) يصافح الغني والفقير ، والكبير والصغير ، والأسود والأبيض ، وكان هو المبادر بالسلام عليهم . ولم تكن له حلّة لمدخله

وأخرى لمخرجه ، وإذا ما دعي ولو من قبل شخص أشعث أغبر ، كان يستجيب لدعوته ، ولا يحقّر ما دعي إليه أبداً ، وإن كان خبزاً ، أو ماءاً .

ولقد كان الامام علي (ع) ـ وهو الحاكم على خمسين ولاية ـ على عظمته ، وشرفه ، يمشي في الأزقة ، ويساعد المحتاجين ، ويلبس الملابس المتواضعة ، ويحمل حاجياته على كتفيه ، وكان الناس يأتون إليه ويقولون :

يا أمير المؤمنين ، دعنا نحمله عنك .

فيردَهم قائلاً :

« صاحب العيال أحق بحمله » .

فلكي تضمن أساساً هاماً من أسس التعامل مع الناس ، ولكي تدخل إلى قلوبهم ، وتصبح محبوباً محشوداً مرفوعاً بينهم ، هاك هذه الوصية العظيمة : تواضع ! .

رغبة عميقة في التعامل مع الناس !

هناك قاعدة أساسية في الحياة ، وهي : أن الأمر ، أو الجانب الذي ترغب فيه ، هو الذي يمكنك أن تعطي ، وتبدع فيه أكثر . فعلى سبيل المثال : النجار الذي تخصص برغبة في فن الأثاثات الخشبية ، يمكنه أن يعطي في هذا المجال بكفاءة ، وجودة عالية . ولو أقحم في مجال الحدادة ـ المفترض أنه لا يرغب فيه ـ فأنه قد يرفض العمل ، ويتركه ، أو أنه يظل يمارسه بلا رغبة ، لأنه لا يجد تفاعلاً داخلياً بينه وبين هذا العمل الجديد .

وهنا مفارقة تجدر الاشارة إليها ، إذ هناك فرق بين أن يتخذ الانسان عملاً ما بمحض اختياره ، وإرادته ، فلا يتفاعل معه نفسياً مع مرور الأيام ، وبين أن يقحم الإنسان جبراً في عمل ما فلا يتفاعل معه ، ولا يرغب فيه .

* * *

وهنا نقطة ضرورية قد لا ترتبط بمجال معاملة الناس ، ولكنها ترتبط بالتكليفات الشرعية . فليس أي شيء لا ترغب فيه لست مطالباً بالقيام به . إن بعض التكليفات الشرعية قد لا يشعر المرء بتفاعل داخلي معها ، ولكن المطلوب منه أن يؤديها على أحسن وجه ، وقناعة ، ورغبة داخليتين .

ومثال ذلك إذا داهم بلاد المسلمين عدو ، يهدد حصانة الاسلام ، وبلاد المسلمين ، وأنفسهم ، وأعراضهم ، وأموالهم ، فإنه هنا يجب على كل مسلم أن يدافع ، ويقاتل ، وجوباً كفائياً . والشاهد في ذلك : كون الانسان يطلب منه أن يقاتل ، ويعرض نفسه للمشقات ، والمخاطر ، فقد يقتل ، أو يجرح ، أو يؤسر ، هنا قد يجد الانسان نفسه تنفر من القتال ، وتكرهه ولا ترغب فيه ، إلا أن الواجب عليه أن يقوم بالواجب حتى ولو كانت نفسه ، تكرهه ، لأن في هذا الكره خير للانسان ، وربما في الشيء الذي يحبه ، تكمن الشرور والمخاطر له .

يقول ـ تعالى ـ في هذا الشأن :

﴿ كتب عليك القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[1] .

* * *

نعود إلى مجال العلاقات الاجتماعية ، والتعامل مع الناس ، فنذكر :

أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل حدوداً لهذه العلاقات ، لكي تكون سليمة ، وأعطى لنا الحرية في خلق العلاقات مع بني البشر ، فالمطلوب منا أن نخلق في أنفسنا رغبة في التعامل معهم ، وبدون هذه الرغبة لا يمكن لنا أن نتعامل معهم بشكل حكيم ، فضلاً عن أنه قد لا يمكن لنا انشاء علاقات إجتماعية معهم ، ونظل نعيش حالة من الانعزال ، والانطواء على الذات .

فإذا أردت أن تكون ناجحاً وسعيداً في تعاملك مع الناس ، وتوسيع دائرة علاقاتك الاجتماعية ، وصداقاتك الانسانية ، كن حكيماً بأن تخلق في نفسك رغبة قوية في تنمية مقدرتك على التعامل مع الناس .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢١٦ .

قدم اهتمامك المخلص بالناس

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها »[1] .

* * *

هل جربت كيفية اصطياد الطيور بالأفخاخ ؟

إذا كنت قد جربت ، ماذا كنت تفعل ؟

لا شك أنك ـ في البداية ـ كنت تنصب الفخ في مكان آمن ، وتضع فيه للطير طعماً مغرياً ، ثم تقوم بحركاتك الهادئة الحانية بالاحسان للطير ، وتوجيهه برفق ، واهتمام ، إلى مصيدتك ، فتصطاده . ولو أنك فعلت خلاف ذلك ، لرأيت أنك كلما وجهت الطير ، وهديته إلى المصيدة ، كلما نفر ، وطار بعيداً عنها .

وهكذا الحال بالنسبة للناس ، فهم أشبه بالطيور الحائمة فلا يمكنك

(١) ميزان الحكمة ، ج ٨ ، ص ٢٥١ .

اصطيادهم ، وتكوين علاقات ، وصداقات موفقة معهم إلا إذا أحسنت إليهم ، وأظهرت اهتمامك المخلص بهم . وبالطبع أن المقصود هنا من اصطياد الناس ليس كسبهم من أجل الضحك على ذقونهم ، وبهدف كسب المنافع المادية من ورائهم ، وإنما ، التعامل معهم كبشر بما يستتبع ذلك من أخذ وعطاء ، على أساس صدق النية ، والاخلاص .

* * *

وقد تسأل :

كيف يمكنني أن أظهر إهتمامي المخلص بالناس ؟

فيجيب على ذلك أحد الكتاب فيقول :

منذ سنوات مضت ، كنت أدرس فن كتابة القصة في أحد معاهد الآداب ، والفنون ، ورغبنا ـ نحن الطلبة ـ في أن نستدرج مجموعة من أعلام القصة ، ذوي الأوقات الثمينة الضيقة لنفيد من تجاربهم . فكتبنا لهم نبثهم إعجابنا بفنهم ، ونشرح شغفنا بقصصهم ، ولهفتنا على سماع نصائحهم الغالية ، وتعلم أسرار نجاحهم . وقد وقّع هذه الخطابات أكثر من مائة وخمسين طالباً . ولم ننسى أن نذكر في خطاباتنا تلك ، أننا نعلم سلفاً كثرة مشاغلهم ، الأمر الذي قد يتعذر عليهم الحضور شخصياً ، ومن ثم أرفقنا قائمة تتألف من عدة أسئلة لكل منهم ، تتعلق بحياته الشخصية ، وطريقته في الكتابة ، راجين الاجابة عنها . فماذا تظن كانت النتيجة ؟ .

لقد ترك هؤلاء المشاهير ، أعمالهم ، وانصرفوا عن أبراجهم العاجية ، وحضروا بأنفسهم إلى المدينة التي بها المعهد ، ليمدّوا لنا يد المساعدة !

* * *

هكذا إذن هي قلوب الناس ، إذا اهتميت بها بإخلاص ، أقبلت عليك وبشوق ، كما يقبل النحل على رحيق الأزهار ، وإن أسأت إليها ، أو ازدريتها ، ولم تقدم لها الاهتمام ، نفرت منك كما تنفر الأغنام من الذئب المداهم لها .

* * *

إن أئمتنا عليهم السلام كانوا يهتمون حتى بأعدائهم ـ فضلاً على محبيهم ، وأنصارهم ومريديهم ـ رفقاً بهم ، وتحننا عليهم ، ومن أجل إصلاحهم ، ولكي لا يدخلون النار بسببهم .

ويذكر التاريخ أنه حينما خرج أبو الأحرار ، الامام الحسين (ع) من مكة ، متوجهاً إلى العراق ، مع أهل بيته ، وأنصاره ، مر على منطقة يقال لها « شراف » ، وعند السّحر أمر فتيانه بأن يملؤوا ـ بالماء ـ كل ما لديهم من القرب والأوعية ، ويكثروا ، ففعلوا ثم واصلوا المسير .

وفي نصف النهار قال له أحد من أصحابه :

سيدي أبا عبد الله !

إني لأرى من بعيد سعفات النخل وهي تتمايل ، فقام الامام الحسين (ع) ، وأنعم النظر ، ثم قال للرجل : بل هي حركات الرماح ، والأسنة !

فأراد الحسين عليه السلام أن يلتجيء إلى مكان آمن ليستريح ، فالتجأ إلى جبل يقال له « ذو حسم » . وحينما وصل إلى الجبل وضرب أبنيته ، فوجيء بألف فارس ، يقودهم الحرّ بن يزيد الرياحي . وكان الحر قد كلف بأن يقتل الحسين ، ويأخذ برأسه إلى عبيد الله بن زياد ـ والي يزيد على الكوفة ـ ، أو يجعجع به إلى مكان ، لا يوصله إلى مكة ، ولا إلى الكوفة .

والشاهد في هذه القصة ، أن الحر وفرسانه قد أصابتهم حالة من الظمأ الشديد ، فأمر الحسين عليه السلام أصحابه بأن يسقوهم ، ويرشفوا خيولهم ، فشربوا ، ورشفوا خيولهم ، حتى أن من ضمنهم علي بن طعان المحاربي ، لم يكن ليستطيع أن يمسك بالقربة ليشرب لاهتزاز في يديه من شدة ما أجهده الظمأ ، فجاء إليه الامام الحسين (ع) بنفسه ـ بأبي وأمي ـ وسقاه الماء حتى ارتوى[1] !

وكثيراً ما كان الامام الحسين (ع) يظهر الاهتمام بأعدائه ، ويشفق عليهم ، ويتقطع ألماً لحالهم ، حتى أنه بكى في يوم عاشوراء ، ولما سئل عن السبب أجاب :

« إنني أبكي على هؤلاء لأنهم يدخلون النار بسببي » ! .

* * *

فإذا أردت أن تكسب الناس إلى جانبك ، كن حكيماً في أن تلتزم الجانب الانساني ، معهم وتظهر اهتمامك المخلص بهم ، وأن تقدم خدماتك لهم ، بكل إخلاص .

---

(١) مقتل الحسين ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ، بتصرف في العبارة .

أشعر الآخرين بأهميتهم ، وعدد الصفات الطيبة فيهم

يقول الامام علي (ع) :

« قلوب الرجال وحشية ، فمن تألفها أقبلت عليه »[1] .

ويقول (ع) أيضاً :

« المؤمن آلف مألوف متعطف »[2] .

* * *

يقول أحد علماء النفس :

« لدي مريضة تحول زواجها قبيل مرضها إلى مأساة مفجعة . كانت تنشد الأبناء ، والمركز الاجتماعي ، والسعادة في حياتها ، ولكن الحياة ضربت بأمانيها عرض الحائط ! لم يكن زوجها يحبها ، وأبت عليها الأقدار أن تنجب أطفالاً . فلما أصيبت بالجنون ، أصبحت تتصور في تخيلاتها أنها طلقت من زوجها ، وتزوجت من رجل عظيم ، وأصرت على أن تنادى بإسم آخر . أما عن

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٧٧ .

(٢) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ١٤ .

الأطفال فهي تتخيل الآن أنها تنجب مولوداً في كل ليلة . وفي كل مرة أزورها فيها ، تقول لي : « هل علمت يا دكتور أنني رزقت بمولود ليلة أمس ؟! » .

أتظن أن جنون هذه السيدة فاجعة أليمة ؟

لقد وسعني أن أرد لهذه السيدة عقلها لما فعلت ! لقد حصلت الآن على السعادة التي كانت تنشدها ، وأرضت إحساسها بالأهمية الذي لم ترضه دنيا الحقيقة .

فإذا كان بعض الناس يتلهفون على العظمة ، والأهمية حتى يردوا موارد الجنون ، فأي معجزات تلك التي تستطيع أنت وأنا أن نأتي بها لو أشبعنا في الناس تلك الرغبة ؟!

* * *

وما أشبه قلوب الناس بالسباع الضارية التي لا تألف !

ولكن ما أن تبدأ باستئناسها حتى تتحول الى حمائم أليفة ، تتحشد من حولك حباً فيك ، ورغبة إليك !

وهكذا هي قلوب الناس ، فمن غير المعقول أن تكسب إنساناً وتجعله يميل إليك ، ويرغب فيك ، من دون أن تشعره بأهميته .

فهل سمعت أن إنساناً كسب آخر بتجاهله له ؟!

ومن ألطف الأمور في إشعار الانسان بأهميته ، تعديد الصفات الطيبة فيه .

وفي هذا الصدد يقول جون « ديوي » :

« إن أعمق دافع للإنسان إلى العمل هو الرغبة في أن يكون شيئاً مذكوراً » .

إننا نختلف مع «ديوي» في هذه المقولة ، باعتبار أن هناك دوافع للعمل أقوى من الدافع الذي ذكره ، وهي الدوافع الدينية ، التي يمكن أن نطلق عليها مفردة الدافع الديني . ومقولة «ديوي» تنطبق على المجتمع المادي ، الذي تنعدم فيه الروح الدينية ، والدافع الديني . أما في المجتمع الايماني ، فإن أعمق دافع للانسان إلى العمل هو امتثاله لله ، وشعوره بالواجب الملقى عليه ، هذا الواجب الذي يحدد مصيره في الدار الآخرة ، وليس رغبته في أن يكون شيئاً مذكوراً . وبعبارة أخرى : أن رضى الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو أكبر دافع للانسان المؤمن إلى العمل ، سواء فيما يرتبط بالعبادات ، أو ما يرتبط بالأعمال الأخرى .

ومع إيماننا بأن أكبر دافع للإنسان إلى العمل هو الدافع الديني ، فإننا لا ننكر أبداً دور الوجدان الداخلي ، ورغبة الانسان في أن يكون شيئاً مذكوراً حتى في ظل المجتمع الايماني . فاهتمامنا بالآخرين ، وإشعارنا لهم بذلك لا شك أنها تشكل نقطة هامة في دفعهم إلى العمل ، وفي كسبهم ، والتأثير فيهم ، إلا أنها ليست كل شيء .

وعليه فإنك لن تخسر شيئاً ، بل أنك لن تجني إلا الكسب والتأثير في الطرف الآخر ، حينما تشعره بأهميته بإخلاص ، وتعدد الصفات الطيبة فيه دون ملق .

قد تلتقي ـ مثلاً ـ عامل التنظيفات ، فتقول له بإخلاص ـ بعد تقديم السلام عليه ـ : أن الدور الذي تقوم به لهو دور إجتماعي عظيم ، إذ يكفي أنك تنشر رائحة ورود النظافة في شوارع المدينة ، وتجعل الناس يتنفسون هواء طيباً

طلقاً . ثم تعدد فيه أخلاقه الحسنة ، وإخلاصه في عملية التنظيف .

هذه الكلمات التي تقولها ، تجعله يشعر بأهميته ، ويزداد ثقة بنفسه ، ويشعر أن المجتمع متكامل معه ، بل ربما لو كان كسولاً مقصراً ، فإنك بكلماتك هذه تجعله نشطاً ، وفعّالاً في أداء مهمته ، ومن الممكن أن يتحول إلى صديق لك يقدم لك التقدير والاحترام ، ويذكرك بخير في حياتك وبعد مماتك .

إذن : فلكي تتعامل مع الناس بنجاح ، اخلق فيهم الرغبة ، وأشعرهم بإهتمامك بهم ، وباختصار :

* عدد الصفات الطيبة في كل إنسان تلقاه .

* امنح تقديرك المخلص المنزّه النابع من قلبك له .

* لا تتملق ، فالملق يصدر من اللسان ، على عكس الاخلاص الذي يصدر من القلب .

* كن وافياً منصفاً في المدح والثناء ، ولا تكن مسرفاً فيه ، وكن مكثراً في تقديرك للناس . وتأمل مقولة أمير المؤمنين (ع) :

« خالطوا الناس مخالطة إن عشتم معها حنواً اليكم ، وإن متم معها بكوا عليكم »[1] .

---

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٧٠ .

امنح التقدير لأفكار الآخرين ، واعطف على رغباتهم

يقول الدكتور « آرثر جيتس » في كتابه « علم النفس التربوي » :

ان الجنس البشري بأجمعه يتلهف الى العطف ، فالطفل يسارع باظهار ما لحقه من أذى ، بل أنه قد يحدث الأذى لنفسه بنفسه لكي يعطف عليه . والبالغون بدورهم يبدون ما أصابهم من أذى ، ويتداولون أخبار مرضهم ، ويعنون خاصة بسرد تفاصيل العمليات الجراحية كي يجدوا من المستمعين العطف والاشفاق . وإبداء العطف على النفس في مواجهة الشدائد ، والمصائب ، سواء كانت حقيقة أو متوهمة ، أمر شائع لا يكاد يخلو منه إنسان .

وأنت كذلك إذا تكلمت وطرحت ما لديك من أفكار حول قضية ما ، ماذا تأمل من مستمعيك ؟

ألست تأمل منهم أن يحترموا ، ويقدروا آراءك ، وأفكارك ؟

وإذا كنت ـ لا سمح الله ـ مريضاً ، ألست تنتظر من الآخرين أن يستمعوا إلى رحلتك مع المرض ، ويصغوا إلى المعانات التي عانيتها ، ويعطفوا عليك ؟

لا شك أنك تأمل ، وتنتظر من الآخرين ذلك .

وهكذا الحال بالنسبة لهم ، فهم يرغبون أيضاً في أن تقدّر آراءهم ، وأفكارهم ، وتصغي إلى ما يشكون منه ، وتبدي عطفك عليهم .

وهنا يجب أن لا يخلط الانسان بين تقدير أفكار الآخرين ، وكون هذه الأفكار محقة أو غير محقة . فقد تصغي لأفكار شخص وشكاواه ، فتقدرها وذلك أمر عقلاني منك . وقد تصغي لشخص ذي أفكار شريرة ، وتستمع إلى شكاواه ، ولكن لا من أجل أن تقدر الباطل والشر ، وإنما من أجل تصحيح أفكار ذلك الشخص الشرير ، وأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر ، وليس المطلوب من الانسان أن يعطف على رغبات الناس الشريرة ، لأن ذلك خلاف الدين ، والحق من جهة ، ومن جهة أخرى يعتبر ذلك انسياق مع الشر ، والباطل ، ووقوع في مزلق الانحراف .

وكل إنسان في موقعه يستطيع أن يطبق هذه القاعدة ، فضلاً عن إمكانية تطبيقها في كثير من المواقع بشكل عام .

خذ مثالاً على ذلك :

إذا كنت طبيباً وطرق عيادتك مريض ، فلا تتعالى عليه ، وتستخف به ، والمطلوب منك أن تخاطبه على قدر عقله ، ومعلوماته . وأن تستمع إلى ما يقول حتى لو أخذ يدخل في التفاصيل ، لأن في استماعك له تنفيس له عنه ، يشعر عن طريقه بالارتياح ، وربما تكون اتاحة الفرصة له بالتحدث ، وإصغاؤك الجيد له ، مقدمة جيدة للعلاج الناجح . وعلى العكس من ذلك فإنك إذا ضيقت عليه ، ولم تقدره ، ولم تستمع إليه وتعطف على رغباته ، فإنه قد يشعر بالخيبة ، وعدم الارتياح الداخلي ، وقد يتأخر شفاؤه ، إذ لا تنكر العلاقة الطردية بين الصحة النفسية ، والصحة الجسدية .

وليس غريباً أن تجد غالبية المرضى يفضلون شرح حالاتهم بالتفصيل ، على السكوت ، والاستماع إلى الطبيب ، والسبب الأكبر في ذلك أنهم ينتظرون العطف منه . ومن هنا يلزم له أن يكون متصفاً برحابة الصدر ، وهدوء الأعصاب ، والمرح والتواضع ، ودماثة الأخلاق بشكل عام . فالطبيب قبل أن يعالج المرضى جسدياً ، يجدر به أن يعالجهم معنوياً ونفسياً ، بأن يقدر حديثهم ، ويعطف عليهم ، ويخفف عنهم ضغط المرض .

ومما يدعو إلى الأسف ، أنك تجد قسماً من الأطباء يتصور أنه ـ بشهادته ، أو بموقعه ـ خرق الأرض ، أو بلغ الجبال طولاً ، فلا يجشم نفسه عناء الاستماع إلى المريض ، ولا العطف عليه ، بل يتعامل معه بتكبر ، وبغرابة ، وربما بخشونة ، وهذا القسم من الأطباء غير محبوب في العادة .

فإذا أردت أن تكسب الناس ـ مهما كانت وظيفتك ـ كن حكيماً في أن تقدر أفكار الآخرين ، وتعطف على رغباتهم ، في موقع عملك ، أو في أي موقع آخر يتطلب التقدير ، والعطف .

دع الطرف الآخر يحتفظ بكرامته

ينقل التاريخ أن فقيراً جاء إلى الإمام علي عليه السلام ، وسأله شيئاً لقضاء حوائجه ، فأعطاه الإمام ، ثم بكى ، فتساءل أصحابه بغرابة عن سبب بكائه ، فقال الإمام بما معناه : بكيت لأنه أراق ماء وجهه باضطراره إلى السؤال ، وأخاف أن لا يكون لي أجر عند الله .

والاسلام لا يجيز لنا أن نريق ماءَ وجوهنا لأحد ، لأن كرامتنا ليست ملكاً من أملاكنا ، وإنما هي ملك لله ، فكيف باراقتنا لماء وجوه الآخرين !

فإن نريق ماء وجوه الآخرين ، أمر لا يجيزه الاسلام ، بل الاسلام يأمرنا بأن نحافظ على شخصيات الآخرين ، وأن لا نهينها ، ولا نحرجها ، وأن نحافظ على مشاعرها ، وعواطفها .

والأمر الذي يجب أن ندركه أنا وأنت ، أن مشاعر الناس ، وأحاسيسهم ليست من الحديد الصلب ، ولا من الخرسانة المسلحة ، بل هي كالزجاج الذي يتكسر على أثر صدمة صغيرة ، وإذا ما انكسر الزجاج فإنه تصعب إعادته إلى حالته الأصلية .

بل حتى الطفل لا يجوز لنا أن نجرح مشاعره ، ونريق ماء وجهه أمام الآخرين ، لأن ذلك يحدث فيه جرحاً لا يلتئم بيسر . ولقد كان رسول الله (ص) يقول لبعض الآباء حينما يأتون إليه بأطفالهم ليؤذن في آذانهم . فيبولون على ثياب النبي فكان الآباء ينهرونهم ، كان يقول لهم بما معناه :

« دعه يكمل بوله ، فإن هذا الثوب يطهره الماء ، وماذا يطهر نفسية الطفل » ؟

ومن الأمور التي تعمل على إراقة ماء وجوه الآخرين ، الافراط في الملامة ، والعتاب ، والمن على الآخرين بتقديم الخدمات ، والمساعدات ، والنقد الجارح ، وخصوصاً أمام المجموع .

يقول الإمام علي (ع) :

« إياك أن تكرر العتب ، فإن ذلك يغري بالذنب ، ويهون العتب »[1] .

ويقول (ع) أيضاً :

« طعن اللسان أمضى من طعن السنان »[2] .

وكما يقول الشاعر :

جراحات السنّان لها التيام ولا يلتأم ما جرح اللسان

ورب كلمة تقولها لشخص ـ وقد تتصور أنها عادية ـ تحرجه ، وتغير ألوانه ، وقد تُمْرِضه ، ورب رمز أو إشارة تفعل فيه كما تفعل الكلمة المهينة المحرجة ، أو الفعل المحرج .

---

(١) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٣٥٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣٤ .

فلكي تكون معاملتك للناس حكيمة ناجحة ، اعمل على أن تحفظ للآخرين شخصياتهم ، وكرامتهم ، ولا ترق ماء وجوههم ، ولا تحرجهم ، كما تحب أن يعاملوك كذلك .

ضع نفسك موضع الطرف الآخر ، وافهم عقليته

يقول الإمام علي (ع) :

« رغبة العاقل في الحكمة ، وهمة الجاهل في الحماقة »[1] .

ويقول الرسول الأعظم (ص) :

« انّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم »[2] .

* * *

يقول أحد المؤلفين :

« اعتدت أن أستأجر الردهة المطلة على الحديقة في فنادق إحدى المدن لمدة عشرين ليلة في كل موسم ، لألقي فيها سلسلة من المحاضرات . وفي بداية أحد المواسم فوجئت بأخطار من الفندق ، يطالبني بإيجار يبلغ ثلاثة أضعاف ما اعتدت أن أدفع ، وقد أتاني هذا الأخطار بعد أن وزّعت تذاكر

(١) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٧٨ .
(٢) ميزان الحكمة ، ج ١٠ .

الدعوة ، وظهرت الاعلانات في الصحف .

ولم أكن أرغب ـ طبعاً ـ في الزيادة ، ولكن ما فائدة أن أحدّث أصحاب الفندق فيما أرغب فيه ؟

وذهبت إلى مدير الفندق ، وقلت له : لقد صدمت ـ حقيقة ـ عندما وصلني أخطاركم ، ولكني لا ألومكم على الاطلاق ، بل ربما لو كنت في مكانكم لفعلت بالضبط ما فعلتموه ، فإن من واجبك كمدير لهذا الفندق ، (أن تأتي بأكثر ما يمكن من الأرباح) ، فإذا توانيت في ذلك ، فربما أقلت من وظيفتك ، ولكن أرجوك أن تسمح لي بتعديد الفوائد ، والمضار التي قد تعود عليكم إذا ألححتم في طلب زيادة في الايجار .

قلت هذا ، ثم تناولت ورقة وقلماً ، ورسمت بالقلم خطاً عمودياً يقسم الورقة إلى قسمين ، كتبت في أعلى القسم الأول كلمة « الفوائد » ، وفي أعلى القسم الثاني كلمة « المضار » ، وكتبت تحت عنوان الفوائد هذه العبارة : « الاحتفاظ بالردهة خالية » .

ثم تابعت حديثي للمدير :

وطبعاً يفيدكم أن تحتفظوا بالردهة خالية ، لتؤجروها للحفلات ، مما يعود عليكم بربح يفوق ما تعود به عليكم سلسلة من المحاضرات .

والآن لننتقل إلى المضار . فأولاً ، بدلاً من أن تزيدوا دخلكم ، ستقللونه ، بل الحقيقة أنكم ستفقدونه تماماً ، لأنني لا أعتزم أن أدفع هذا الأجر الباهظ . ثم أن هناك « فائدة أخرى لكم ، تلك هي أن المحاضرات سوف تجتذب إلى فندقكم طائفة من المثقفين ذوي المراكز ، والوجاهة ، وهذا فيما أخال خير إعلان للفندق ، أليس كذلك ؟ بل في الحقيقة أنكم إذا أنفقتم ٥/٠٠٠ ريال على الاعلان عن فندقكم ، في الصحف ، لما أمكنكم أن تأتوا

بمثل هذه النخبة من الناس ليشاهدوا فندقكم .

ثم سلمت الورقة للمدير قائلاً :

كم أقدّر أن تقدّروا هذه الفوائد ، والمضار حق قدرها ، ثم تعطوني كلمتكم الأخيرة .

وفي اليوم التالي تسلمت خطاباً من المدير يخبرني فيه أنه قرر زيادة الايجار بمقدار ٥٠ في المئة فقط ، بدلاً من ٣٠٠ في المئة !!

والمهم في هذا كله أنني حصلت على هذا التخفيض دون أن أنبس بكلمة مما أرغب فيه ، وما حضرت لأجله ، بل كنت أتكلم على طول الخط ، عمّا يرغب فيه محدثي ، وأريه كيف يحصل عليه !

ولنفترض أنني فعلت مثلما يفعل سائر الناس . . هب أنني اندفعت إلى مكتب مدير الفندق قائلاً : ماذا تعني برفع الأجر بنسبة ٣٠٠ في المئة في حين أنك تعرف أن تذاكر الدعوة قد وزّعت ، وأن الاعلانات قد نشرت في الصحف . . ثلاثمائة في المئة ؟! هذا ابتزاز . . هذه سرقة . . لن أدفع شيئاً من هذا ، فما الذي كان يحدث عندئذ ؟ سينشب ـ بالطبع ـ جدال عنيف ، وأنتم تعلمون كيف ينتهي الجدال عادة ! وحتى لو أقنعته بأنه مخطىء ، لمنعه كبرياؤه عن الاقرار بخطئه ! .

* * *

ويقول نفس المؤلف السابق :

« منذ بضع سنوات كنت أدخل عيادة اختصاصي شهير في أمراض الأنف ، والأذن والحنجرة . وقبل أن يفحص الطبيب حنجرتي ، سألني : ما عملي ؟ . إن اهتمامه لم يكن منصباً على مرضي بقدر ما كان منصباً على

« مقدرتي المالية » ! ولم يكن شاغله مدى المساعدة التي يمكنه أن يسديها لي ، بل مدى ما يستطيع أن يحصل مني عليه !

وماذا كانت النتيجة ؟

لقد غادرت عيادته وكلّي ازدراء له . والعالم غاص بمثل هذا الطبيب . . أناس يسيطر عليهم الجشع ، والأنانية . ومن ثم فالذي يسعى مخلصاً لخدمة غيره ، يمتاز بميزة عظيمة ، هي أن منافسيه ليسوا من الوفرة بمكان » !

* * *

وأن تضع نفسك موضع الطرف الآخر ، وتفهم عقليته ، هذه الكمة تحمل عدة معاني منها :

أن تتصور نفسك كما لو أنك الطرف الآخر ، كيف كنت تتصرف . ولنضرب لهذا المعنى بعض الأمثلة البسيطة :

فقد نشاهد موظفاً من موظفي البريد ، وهو يؤدي معاملات مع الآخرين ، بانفعال ، وكدر ، وعدم راحة بال ، فتقول : كيف يتصرف هذا الانسان ؟ ولكنك لو وضعت نفسك مكانه لربما تصرفت مثله أو أكثر .

وقد تدخل بقالة ، ويحدث أن صاحب البقالة يعاني من مشاكل اجتماعية مع زوجته ـ مثلاً ـ فينهرك ولا يتعامل معك بشكل لائق ، ولو أنك كنت مكانه وكنت تعاني مثلما يعاني ، لربما تعاملت مع الآخرين بنفس الطريقة .

وقد تقوم بزيارة إلى مستشفى للعلاج ، أو لعيادة صديق ، ويحدث أن تطلب مساعدة من ممرضة ألمّ بها التعب من جراء عملها المزدحم ، المتعب ، فيحدث أن تحدثك بأسلوب جاف ، ولو أنك كنت مكانها لربما فعلت أكثر مما فعلت .

والأمثلة في هذا المجال كثيرة ومتعددة .

والمعنى الآخر لتلك الكلمة ، أنه ليس المطلوب منك أن تبرر أخطاء الناس وتجاوزاتهم غير العادية ، وتختلق لهم الأعذار ، من أجل أن تسكت عن أخطائهم ، أو من أجل أن تضحك على ذقونهم ، وتحصل منهم على مكاسب مادية ، كما يحدث في الغرب ، والمجتمعات غير الايمانية الأخرى ، بل المطلوب تقدير وضع الشخص ، ليس إلا .

والمعنى الثالث أن تخاطب الناس ، وتتعامل معهم على قدر عقولهم ، فحتى الأنبياء ، أرسلهم الله لمخاطبة الناس على قدر عقولهم . فقد تكون طبيباً ، ويأتي إلى عيادتك شخص أمي ، لم ينل درجة جيدة من الوعي ، والعلم ، والمعرفة ، فلا تزدريه ، ولا تنظر إليه بنظرة فوقية ، بل تواضع له ، وتعامل معه على قدر عقله ، وستجد أنه ينجذب إليك ، وتكون أنت قد كسبته .

وقد تكون مديراً أو موظفاً في إدارة ، أو شركة ، أو في أي موقع آخر ، ويزورك شخص ما ، فيلزم لك أن تتعامل معه على قدر عقله ، وهكذا .

إذن فلكي تكسب الناس بنجاح ، ضع نفسك موضعهم ، وافهم عقليتهم .

كيف تصبح محبوبا ؟

يقول الرسول الأكرم (ص) :

« ضع عينك على من شئت ، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لنفسك »[1] .

ويقول الامام علي (ع) :

« التودد الى الناس رأس العقل »[2] .

ويقول (ع) أيضاً :

« ثلاثة يوجبن المحبة : الدين ، والتواضع ، والسخاء »[3] .

ما أجمل الانسان وهو محبوب بين الناس ، يذكرونه بكل خير ، ويفرحون بملاقاته ، ويشعرون بالوحشة حين مفارقته ، مثله كمثل العندليب ، لا يمل الناس من جماله ، وألحان تغاريده . يسبغ الحب والتقدير على من يلقاه من

(١) ميزان الحكمة .
(٢) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٥٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٥٧ .

بني البشر ، ويشاركهم آمالهم ، وآلامهم ، وقضاياهم ، ويسعى في خدمتهم !

وما أخسر ذلك الانسان الذي يسيطر عليه حب الذات ، وروحه الأنانية ، فلا يهمه أن يشقى الناس جميعاً ، ويظل هو سعيداً ، وأن يصبحوا في عناء وتعب ، ويكون هو في راحة ورفاه ! وما أبعده عن حب الناس له ، ذلك الذي لا يفكر إلّا في أناه ، وفي مصالحه الشخصية !

من هنا لكي يصبح الانسان محبوباً بين الناس يجدر به أن يعي جيداً هذه القاعدة الانسانية :

« أحب لأخيك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها » ، وفي جميع الجوانب الحياتية ، وحتى فيما يرتبط بالأمور الصغيرة ، لأن تطبيق هذه القاعدة في الأمور الصغيرة يؤهله إلى أن يطبقها في قضايا أكبر . فمن لا يحب لأخيه ـ على سبيل المثال ـ أن يكون مقدراً بين الناس ، لا يستطيع أن يحب له أن يكون مصيره إلى الجنة . ومن لا يستطيع أن يكره لأخيه ـ على سبيل المثال ـ أن يكون سيء المظهر ، لا يستطيع أن يكره له أن يكون فقيراً معدماً في حياته .

إن بعضاً من الناس إذا أرادوا أن يشربوا الماء ، تجدهم يهتمون جيداً بغسل كؤوسهم ، وتنظيفها ، ولكن حينما يطلب منهم الآخرون ، الماء ، لا يعيرون اهتماماً لنظافة الكؤوس ، طالما أنهم لن يشربوا الماء الذي بها ، ويكتفون بصب الماء فيها ، وتقديمها كيفما كانت . وقس على ذلك الكثير من التصرفات الصغيرة ، والكبيرة التي يهتم الانسان بها حينما تكون تخصه هو ، ولا يعيرها أي اهتمام ـ أو يعيرها حداً أدنى منه ـ حينما تكون تخص الآخرين . وهذه هي الروح الأنانية بعينها ، والتي يمقتها الاسلام أشد المقت ، تماماً كما يحدث في الغرب ، حيث المجتمعات الرأسمالية ، إذ لا يهم الفرد أن يكون الآخرون فقراء ، ويظل هو رأسمالياً مليونيراً .

وفي مجال التعامل مع الناس ، كما تحب أنت أن يقدرك الناس ، ويهتموا بك ، فهم أيضاً يحبون أن تقدرهم ، وتهتم بهم ، وتشعرهم بأهميتهم . ومن هنا فإن إسباغ التقدير على الآخرين ، وجعلهم يشعرون بالأهمية ، من أهم الأمور التي تجعل الانسان محبوباً بين إخوانه ، وبين البشر عموماً .

إن إلقاء السلام ، وتقديم الشكر لساعي البريد ، هذا الموظف الذي يقوم بخدمة طيبة للناس ، يجعله منشرح القلب ، مسروراً ، وسعيداً ، ويعطيه ثقة بنفسه ، ويحفزه على الاحسان للآخرين ، وكل ذلك بسبب التقدير ، والاهتمام الذي قدم له .

وكلمة مديح مخلصة تقولها لزوجتك ، كأن تقول لها : أشكرك على الخدمات الجليلة التي تقومين بها في المنزل ، أو تقول لها : أقدر فيك أخلاقك الحسنة ، أو تقول لها : أشكرك على الطعام الجيد الذي قدمتيه . إن هذه الكلمات ، وأمثالها تجعل زوجتك مسرورة ، وتشعر بالسعادة ، وكل ذلك لأنك منحتها التقدير والأهمية .

وكثيرة هي العبارات الطيبة التي تجعل الطرف الآخر سعيداً ، ويشعر بالتقدير ، والاحترام ، والأهمية ، نحو : « آسف لإزعاجك . . » ، « هل أطمع في . . . » ، « هل تتفضل بـ . . . » ، « هل تسمح . . » ، « إني أشكر لك . . . » ، « أقدر فيك . . . » ، « يعجبني فيك . . . » ، « أرجو المعذرة . . . » ، « لو تكرمت . . . » ، « أمن خدمة أقدمها لك . . . » ، « ما تقوم به كخدمة إنسانية . . . » ، « أنت شخص لك دور هام في . . . » .

* * *

يقول أحد علماء النفس :

ارتحل السيد (س) عقب انضمامه إلى معهدي بمدة وجيزة إلى إحدى المدن ، في صحبة زوجته ، ليزورا عمة لعمته عجوز ، حيث تركته زوجته ، وخرجت لتزور بعض أقاربها الآخرين . ولما كان يتحتم على السيد (س) أن ينهي إلى طلبة فصله بنتيجة تطبيقه لمبدأ « إظهار التقدير للناس » ، فقد فكر في أن يبدأ العمة العجوز .

وألقى السيد (س) نظرة في أرجاء البيت ، فاحصة ، ليرى أي الأشياء فيه يسعه أن يبدي تقديره له ، وما لبث أن سأل العمة العجوز : ألم يشيد هذا البيت في نحو عام ١٨٩٠ ؟ ، فأجابته العجوز : بلى ، هذا على وجه التحديد هو العام الذي بني فيه .

فقال : أنه يذكرني بالبيت الذي ولدتِ فيه . انه جميل ، قوي البناء ، فسيح الأرجاء ، متعدد الغرف ، وأنه لمن سوء الحظ أن مثل هذه البيوت لم تعد تشيد في هذه الأيام . وأقرته السيدة العجوز قائلة : نعم . فإن شباب هذه الأيام لا يهتمون بالبيوت الجميلة ، وكل ما يريدونه هو شقة ضيقة ، وثلاجة كهربائية ، وسيارة يسرحون بها طيلة اليوم . ثم أردفت في صوت مرتجف لفرط ما تحمل من الذكريات السعيدة : لقد قام هذا البيت على الحب ، حلمنا به ، زوجي وأنا ، وظللنا نحلم به مدى سنوات ، قبل أن نخرجه إلى حيز الوجود ، ولم نستخدم مهندساً ، بل وضعنا تصميمه بأنفسنا .

ثم طافت به العمة العجوز حول المنزل ، فأبدى تقديره الصادق للتذكارات الجميلة التي جمعتها خلال رحلاتها مع زوجها ، من أوان خزفية ، ولوحات ، وستائر حريرية .

يقول السيد (س) : فلما فرغنا من جولتنا بأنحاء المنزل ، اقتادتني العمة إلى الحديقة ، حيث « الجاراج » وهناك وجدت سيارة فخمة تكاد تكون جديدة

لم تمس ، وقالت لي العمة في لهجة رقيقة :

لقد اشترى زوجي هذه السيارة الدقيقة قبل أن يقضي بمدة قصيرة ! ، لم أركبها قط منذ وفاته . إنك يا سيد (س) تقدر الأشياء الجميلة ذات الذكرى العزيزة ، فخذ هذه السيارة ، أنها لك مع أخلص تحياتي . وأخذت بهذه المفاجأة ، وقلت : كيف يا عمتي ؟ إنني أقدر كرمك طبعاً ، ولكني لا أستطيع أن أقبل عطيتك . إنني لست حتى قريباً لك ، ولديك أقارب كثيرون ، يودون أن تكون لهم هذه السيارة ، فهتفت السيدة العجوز في ازدراء : أقارب ؟! نعم : لدي أقارب لا همّ لهم سوى انتظار موتي ، كي يظفروا بهذه السيارة ! ولكن بعداً لهم ! فعدت أقول لها : حسناً ، إذا كنت لا تريدين أن تعطيها لأحد منهم فلماذا لا تبيعيها ؟ فهتفت مرة أخرى : أبيعها ؟! أتحبني أبيع هذه السيارة ؟! أوتظن أنني أطيق أن أرى الغرباء يروحون أمامي ، ويغدون بها ، وهي التي اشتراها زوجي لي أنا ؟! انني سأهديها لك يا سيد (س) ، فأنت تقدر التذكارات حق قدرها . وحاولت التخلص بشتى السبل من قبول السيارة ، ولكني كففت خشية أن أؤذي مشاعرها !

* * *

إذن فالتقدير ، وإعطاء الأهمية للآخرين ، ليس وسيلة للضحك على ذقونهم ، والاحتيال عليهم ، وكسب المنافع منهم . إنه الطريقة الأخلاقية للتعامل مع الناس ، فإذا أردت أن تصبح محبوباً بين الناس ، كن حكيماً في أن تقدرهم ، وتشعرهم بأهميتهم .

لكي يسرّ بك الناس

يقول الامام علي (ع) :

« السرور يبسط النفس ، ويثير النشاط »[1] .

ويقول (ع) أيضاً :

« ما أودع أحد قلباً سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور لطفاً »[2] .

من أهم الأمور التي تجعل الآخرين مسرورين وسعداء ، هو أن يجدوا من يتحدث لهم عن الأمور والقضايا التي يحبونها .

ولا يعني ذلك ـ أبداً ـ أن يتنازل الانسان عن رسالة الحق في الحياة ، ويدوس على القيم فيتحول إلى إنسان مصلحي ، يتكلم فيما يريده الناس ، ويرضي شهواتهم وغرائزهم ، حتى ولو كان ذلك على حساب الالتزام بقيمة الحق .

ليس المقصود من ذلك هذا أبداً ، بل حتى في مجال احقاق الحق

(١) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ١٥٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

يمكنك في البداية أن تنطلق مع الطرف الآخر من القضايا التي يحبها ويرغبها ـ بحيث لا تحلل حراماً ، ولا تحرم حلالاً ـ ثم تعرّج بأسلوب فني على ما تريد تبيانه من الحق ، له . لأنك حينما تتكلم فيما يسر الطرف الآخر ، فإنك تكون قد قطعت مرحلة من مراحل دخولك إلى قلبه ، وبالتالي كسبه ، والتأثير فيه .

يقول الامام علي (ع) :

« سرور المؤمن بطاعة ربه ، وحزنه على ذنبه »[1] .

وعلى العكس من ذلك ، هنالك قسم من الناس لا يعيرون لهذا الجانب اهتماماً ، فيتكلمون عن أنفسهم ، وعن قراباتهم ، وعن الأمور التي يحبونها ، ويميلون إليها ، دون أن يحدثوا الطرف الآخر بما يحب ، مما يكون منه إلا أن يشعر بالملل ، والضجر منهم ، ومن ثم قد يبتعد عنهم .

* * *

يقول أحد المؤلفين :

عندما كنت في الثامنة من عمري ، اعتدت أن أمضي عطلة نهاية الأسبوع في ضيافة عمتي . وذات مساء حضر لزيارة عمتي رجل في منتصف العمر ، لم أكن رأيته من قبل ، وكنت في ذلك الحين شغوفاً بالقوارب ، فما أن علم الزائر بذلك ، حتى صبَّ حديثه معي عن القوارب ، وكل ما يتصل بها .

وقد ترك حديثه في نفسي أحسن الأثر وأبقاه . فلما انصرف سألت عمتي من هو ، وما سبب اهتمامه بالقوارب ، فأنبأتني عمتي أنه محامٍ ، وأنه لم يهو القوارب في يوم من الأيام ! فسألتها لماذا إذن ، صب حديثه ـ كله ـ عن القوارب ؟ فقالت : لأنه رجل لطيف الشمائل ، رأى أنك مهتم بالقوارب ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

فتكلم عن الشيء الذي عرف أنه يهمك أكثر من سواه !

* * *

وهكذا فإذا جمعك المجلس مع فرد ، أو جماعة وكانوا يتحدثون في موضوع خيّر يميلون إليه ، ويرغبون فيه ، فلا تزدر فيهم ذلك الميل والرغبة ، بل شجعهم على ذلك ، وان استطعت أن تشاركهم فلا بأس في ذلك ـ في الحدود المشروعة طبعاً ـ وستجد أنهم يسرون بك ، وينجذبون إليك كما تنجذب الفراشات إلى نور المصباح .

فلكي يسر بك الناس ، كن حكيماً في أن تدخل السرور إلى قلوبهم ، وأن تتحدث فيما يسرهم ، ويطيب لهم .

ابتسم

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« إنَّ بِشْرَ المؤمن في وجهه ، وقوّته في دينه ، وحزنه في قلبه »[1] .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« ضحك المؤمن تبسم »[2] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« البشر يؤنس الرفاق »[3] .

ويقول (ع) أيضاً :

« حسن البشر من علائم النجاح »[4] .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

---

(١) ميزان الحكمة ، ج ١ ، ص ٤١٩ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٨١ .

(٣) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٣٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

« البشر الحسن ، وطلاقة الوجه ، مكسبة للمحبة ، وقرب من الله ، وعبوس الوجه ، وسوء البشر مكسبة للمقت ، وبعد من الله »[1] .

* * *

من أبسط الأمور التي تعود بالخير الكثير ، وتشيع السعادة في البيت ، والعمل ، وفي كل مكان ، الابتسامة .

وما أجمل الانسان ، وما أسعده حينما يعرض الابتسامات المخلصة على من يلقاه ، كما تعرض الوردة رائحتها العطرية وألوانها المنسقة على مشاهديها !

وما أجمل ابتسامة الطفل البريء !

وما أجملنا حينما نبتسم كما يبتسم !

ان الابتسام قاعدة أكثر من هامة في التعامل مع الناس ، وكسب حبهم ، وودهم ، فهم يندفعون إلى ذلك الانسان البشوش ، البسام ، لا إلى ذلك العبوس المتجهم ، ويندفعون إلى قسمات الوجه المنبسطة ، المنشرحة التي يتقاطر منها ندى البشر والطلاقة والابتسام ، لا إلى قسمات الوجه العابسة ، المنقبضة التي يخيم عليها ثقل الهم ، والغضب ، والانقباض .

وفيما يتعلق بالدور الذي يلعبه الابتسام ، وأهميته في الجانب الاجتماعي قال أهل الصين القدامى :

« ان الرجل الذي لا يعرف كيف يبتسم ، لا ينبغي له أن يفتح متجراً » .

وبالفعل فإن أصحاب الدكاكين والحوانيت ، الأخلاقيين ، والاجتماعيين ، والبسومين ، والذين يرحبون بالزبائن ، والمشترين

---

(١) ميزان الحكمة ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

ويقدرونهم ، هم المحبوبون ، والذين يتزاحم الناس على دكاكينهم ، وحوانيتهم . وبالعكس ، فإن الناس تنفر من الباعة الذين كأنهم قنابل على اهبة الانفجار ، بقصر النفس ، وضيق الصدر ، والانقباض والغضب .

* * *

يقول أحد الكتّاب :

قال « و. ب. » :

إنني متزوج منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً ، وقلما ابتسمت لزوجتي خلال هذا العمر الطويل ! بل قلما حدثتها أكثر من بضع عبارات ، ابتداء من الساعة التي أصحو فيها حتى أغادر البيت قاصداً إلى عملي . لقد كنت أسوأ مثل للرجل العبوس ، المتجهم . فلما طلبت أن أحدث زملائي عن تجاربي في الابتسام ، فكرت في أن أجرب الابتسام مع زوجتي .

ففي الصباح التالي ، بينما أنا أمشط شعري أمام المرآة ، تطلعت إلى صورتي ، وقلت لنفسي : اسمع يا « و. ب » ، إنك ستمحو اليوم هذا العبوس المخيم على سحنتك ، ستبتسم دائماً ، وستبدأ في التو واللحظة . وإذ جلست إلى مائدة الافطار ، حييت زوجتي بهذه الكلمات :

صباح الخير يا عزيزتي ! وابتسمت وأنا أقول ذلك .

ووعدتها أن تنتظر مني هذه التحية على الدوام . وقد جرّ هذا الموقف الجديد على بيتنا ، في خلال الشهرين الماضيين سعادة لم نذق مثلها خلال العام الماضي كله .

والآن إذ أقصد إلى مكتبي ، أحيّي عامل المصعد بقولي : صباح الخير ، وأشفع هذه التحية بابتسامة مشرقة ، وابتسم للصراف في شباك المحطة ،

وعندما أقف في قاعة البورصة أبتسم لرجال لم يروني أبتسم من قبل . وسرعان ما وجدت كل إنسان يبتسم لي بدوره ، وأعجب من هذا أن الابتسامات أصبحت تدرّ عليّ مزيداً من المال كل يوم !

وبشركتي ـ في مكتبي ـ وسيط آخر لديه كاتب شاب ، مرح النفس ، منبسط الأسارير دائماً ، وإذ رأى مدى التغير الذي طرأ عليّ ، لأول مرة ، ظنني شخصاً جامدا عبوساً لا تطاق عشرته ، ولكنه غيّر ظنه بي !

وأنا الآن أهب كلمات التقدير والمديح لكل من ألقاه ، كما امتنعت عن التحدث إلى الناس فيما أرغب فيه ، وأصبحت أحاول ـ دائماً ـ الوقوف على وجهة نظر الشخص الآخر . وقد أحدث هذا التحول ثورة مباركة في حياتي . فأنا الآن شخص مرح سعيد ، كثير الأصدقاء .

* * *

قد يقول قائل : انني أريد أن أكون مبتسماً ، ولكن لا أجد حافزاً على الابتسام .

ولمعالجة ذلك :

تعود أن تبتسم ، فالخير عادة ، كما أن الشر عادة أيضاً . ابدأ بفتح نوافذ قلبك ، واطرد ما ألمّ بك من ضجر ، وسأم ، وحزن إن وجد ، ولا تضيع لحظة في التفكير في خصومك ، ثم حاول أن تبتسم . ولا مانع أن تتكلف الابتسام ، وتتصنعه في البداية كمرحلة لخلق حالة التبسم ، وشيئاً فشيئاً سيصبح الابتسام عادة وسجية فيك وتقليداً .

فلكي تتعامل مع الناس بنجاح ، كن حكيماً في أن تبتسم ، وإذا لم يكن من عادتك الابتسام ، تعلم فن الابتسام ـ وليس عيباً أن تتعلمه ـ وما أبسطه من

فن . تخلص من كل الأغلال ، والاصرار الداخلية ، واجعل الابتسامة تجري في لحمك ، وعظمك ، وشرايينك ، وأعصابك ، فضلاً عن قسمات وجهك وشفتيك ، ولن تخسر شيئاً ، بل أنت الرابح والسعيد على أية حال .

اهتم بتذكر وحفظ أسماء الناس

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« إذا كان الرجل غائباً فكنّه ، وإذا كان حاضراً فسمّه »[1] .

ويقول (ص) أيضاً :

« أول ما يبرّ الرجل ولده أن يسميه باسم حسن ، فليحسن أحدكم إسم ولده »[2] .

حينما تتعرف على إنسان ما ، وتبدأ معه حديثاً ، ثم تسترسل معه في الحديث ، دون أن تبادره بالسؤال عن اسمه ، ما هو الشعور الذي قد يتولد في داخله ؟

إن أدنى ما قد يتولد فيه من شعور ، هو انك لم تعره اهتماماً جيداً ، لأنك تناسيت عنوانه العام ، وهو إسمه . بينما لو قدمت له هذا السؤال ، في أول اللقاء ـ وهو الأفضل ـ أو في أثناء الحديث : عفواً ، ما هو إسمكم ؟ لتحركت

(١) ميزان الحكمة .

(٢) المصدر السابق .

خلاياه متجهة إليك ، ولأحسست بتفاعل منه معك ، وذلك يرجع إلى أنك أعرت اهتماماً بإسمه ، وبالتالي به ، لأن الاسم يشكل جزءاً ـ على قدر من الأهمية ـ من شخصية الانسان ، وإن كان وسيلة لتعريفه .

وأنه لمن المؤسف حقاً أنك تجد بعض الناس يدخلون مع آخرين في أحاديث قد تمتد لساعات ، ولكنهم لا يجشمون أنفسهم بالسؤال عن أسمائهم . وذلك يرجع إما إلى حالة الكبر الموجودة فيهم ، أو إلى عدم اهتمامهم بالجانب العلاقاتي في الحياة .

وقد يتساءل السائل : ما الذي أجنيه من التعرف على اسم شخص ، سيفارقني ، وربما لن أراه في المستقبل ؟

والجواب : وما الذي تخسره حينما تسأل عن اسم من تلقاه ، بل لربما أصبح هذا صديقاً حميماً لك في الحياة . وكم من أفراد أصبحوا أصدقاء حميمين ، بسبب التعرف على أسماء بعضهم البعض !

* * *

يقول أحد المؤلفين :

قابلته ذات يوم ، وسألته عن نجاحه الباهر ، فقال لي : « الجد والاجتهاد » . فقلت : لا تمزح . فسألني ماذا أظن إذن سرّ نجاحه ؟ فقلت : سمعت أن في وسعك أن تنادي عشرة آلاف شخص بإسمهم الأول . وكنت مصيباً في ظني ، فقد ساعدت هذه المقدرة « ج . ف » على أن ينصب « ف . ر » رئيساً للجمهورية .

أما كيف خلق « ج . ف » هذه القدرة على تذكر أسماء الناس فأمر هيّن .

كان إذا التقى بصديق جديد ، تعرف على اسمه الكامل ، وأسماء

أولاده ، وذويه المقربين ، ووقف على طبيعة عمله ، ولونه السياسي ، وآرائه العامة ، ومن ثم يحتفظ بهذه المعلومات في ذهنه كجزء من الصورة التي اختزنها في مخيلته لهذا الصديق ، فمتى التقى به ثانية ، وسعه أن يربت على كتفه ، ويسأل عن أولاده ، وزوجته ، والأزهار الجميلة التي تنبت في حديقة داره . فلا عجب إذن أن يكون له على مرّ الأعوام ، معارف ، وأصدقاء ، يفوق عددهم الحصر ! .

وقبل أن يبدأ « ف. ر » حملته الانتخابية بأشهر ، عكف « ج. ف » على كتابة مئات الرسائل كل يوم لأشخاص يعرفهم في جميع أنحاء الولايات ، ثم استقل القطار ، وظل مدى تسعة عشر يوماً يجوب أنحاء الولايات ، وقطع في هذه الجولة اثني عشر ميلاً !

وكان إذا حل ببلد ، قابل معارفه على مائدة الافطار ، أو الغداء ، أو العشاء ، فيقضي معهم زمناً يلقي عليهم فيه تحية قلبية مخلصة ، ثم يتركهم ليستأنف رحلته . فلما آب من رحلته ، انتقى من كل بلد زاره رجلاً واحداً ، وسأله أن يعد له قائمة بكل من قابلهم ، وتحدث إليهم . وقد حوت هذه القوائم الآف من الأسماء ، ومع ذلك فكل اسم ورد في تلك القوائم حظي صاحبه بمحادثة ودية مع « ج. ف » .

وكانت الرسائل التي يكتبها « ج. ف » تبدأ دائماً بهذه العبارة : عزيزي جوزيف ، أو عزيزي جيمس ، وكان الامضاء دائماً « ف. ». .

ولقد اكتشف « ف. » في وقت مبكر من حياته أن أحب الأسماء للانسان هو اسمه !ومتى ذكرت اسم شخص صادقته ، وناديته به في المرة التالية التي تلقاه فيها ، فثق أنك أديت له مجاملة لطيفة باقية الأثر . أما لو نسيت اسمه ، أو نطقت به مغلوطاً فقد لا يشعر الطرف الآخر بأنك تهتم به .

ويقول نفس المؤلف :

كان نابليون الثالث ، امبراطور فرنسا ، وابن عم نابليون بونابرت ، يباهي أنه على الرغم من واجبات الملك الملقاة على عاتقه ، ليستطيع أن يذكر اسم كل شخص التقى به .

فماذا كانت خطته ؟

غاية في البساطة. كان إذا لم يسمع اسم محدثه واضحاً ، قال له : آسف لم أستطع أن ألتقط الاسم تماماً . فإذا كان الاسم على شيء من الغرابة سأل : كيف يتهجى ؟ . ثم يأخذ على عاتقه ، خلال المناقشة أن يكرر الاسم جملة مرات ، ويحاول أن يربطه في ذهنه بصورة صاحبه ، وملامحه ، وتعبيراته ، ومظهره العام . ومتى خلا لنفسه كان يدوّن الاسم على قرطاس ثم يتأمله ملياً ، ويحصر ذهنه فيه ، وبهذا يكون فكرة « عينية » عن الاسم كما كوّن فكرة « سمعية » . ، فلا يعود هناك ثمة سبيل لنسيانه .

* * *

وإذا كان الغربيون يهتمون بحفظ وتذكر الأسماء من أجل تحقيق المنافع ، والمكاسب المادية ، مع عدم اهمال الفطرة الانسانية الموجودة فيهم ، والباعثة على التعامل الحسن مع الناس ، فإن المؤمنين هم الأولى بالتعامل مع الناس بشكل حسن ، وخدمتهم ، وتبادل الأخذ والعطاء معهم .

فإذا أردت أن تكسب الناس ، وتكون شبكة من العلاقات الاجتماعية المخلصة ، كن حكيماً في أن تتذكر وتحفظ أسماء من تلقاهم من الناس .

اجعل نفسك مستمعا طيبا
ولا تنس تشجيع محدثك على الكلام نفسه

يقول الامام علي :

« عوّد أذنك حسن الاستماع ، ولا تصغ إلى ما لا يزيد في صلاحك »[1] .

ويقول أيضاً :

« من أحسن الاستماع تعجل الانتفاع »[2] .

الاطغاء للطرف الآخر فن يهمله قسم من الناس . فهؤلاء لا يهمهم ما يقول الطرف الآخر ، بقدر ما يهمهم ان يكونوا هم المتكلمين ، والماسكين بدفّة الحديث . ولا يهمهم أيضاً أن يبقى الطرف الآخر متابعاً ، ومسترسلاً في الحديث ، بل يهمهم أن يقاطعوه ، ويجدعوا أنفه ، ويبتروا حبل أفكاره .

والاصغاء ليس مسألة صعبة ، بل هو فنّ بسيط يعتمد على إتاحة الفرصة

(١) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ١٦٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

للطرف الآخر لأن يبدي أفكاره ، ويعتمد على الاتصاف بنوع من الارادة في التحكم في اللسان ، وعدم مقاطعة الطرف الآخر في حديثه ، حتى يتمّه ، أو حتى يتمّ الفكرة التي يعطينا بعدها إجازة إبداء الرأي والتعليق .

ومشكلة عدم إجادة فنّ الاصغاء والاستماع موجودة في مجتمعاتنا . فقد يصادف أن تحضر مجلساً ، يتحدث فيه أكثر من شخص في نفس اللحظة ، ويبدي الرأي والتعليق أكثر من شخص في نفس اللحظة أيضاً ، ويتحول المجلس الى مقاطعات كلامية ، فوضوية ، تشبه الاصوات المتعددة الجهات في سوق من أسواق الخضروات !

وهذه المشكلة ـ وللأسف ـ موجودة حتى في صفوف المثقفين .

قد يقول قائل : أن فن الإصغاء مطلوب ـ فقط ـ في الاجتماعات الرسمية . ولكن الحقيقة أنه مطلوب في النقاش ، بل وحتى في الاجتماعات الأخوية العادية ، ودردشات الاستراحة . فحينما تكون في اجتماع أخوي عادي ، ماذا يضرك لو أنك التزمت حالة تنظيمية في التحدث ، بأن لا تتحدث وآخر يتحدث ، وأن تنتظر حتى ينتهي من كلامه ؟

وبناء على ذلك يمكننا القول :

أن تصغي لمحدثك ، يعني أن تقدم الاهتمام والتقدير لما يطرحه من أفكار ، وقضايا ، حتى لو كان يختلف معك في الآراء ، ولا تندهش حينما ترى محدثك يرتاح إليك ، ويهتم بما تطرحه عليه . وهذا هو السرّ في أن الخطباء يهتمون في توجيه نظراتهم ، والكلام إلى من يصغي إليهم جيداً ، ويتلقى الأفكار منهم بكل اهتمام .

وحتى أولئك الناس الذين يتصفون بالجفاف في الطباع ، والغلظة في

الأقوال ، فهم يلينون أمام مستمع ، جيد ، صبور .

* * *

يقول أحد علماء علم النفس الاجتماعي :

اشترى أحد طلبتي ـ ذات يوم ـ حلة جديدة من متجر كبير معروف ، وبعد أيام اكتشف أن صباغ الحلة رديء ، وأن لونها يحيل إذا أصابها شيء من العرق . فأخذ الحلة ، وعاد بها إلى المتجر ، وقصد إلى البائع الذي باعه إياها ، وقصّ عليه القصة . هل قلت قصّ على البائع ، استغفر الله ، بل حاول أن يقصّ عليه ، ولكنه لم يستطع ، فقد قطع عليه البائع السبيل ، وقال له : لقد بعنا آلاف من هذا الحلل ، وهذه أول شكاية نسمع بها ! تلك كانت كلماته ، أما لهجته فكانت أقبح بكثير ولم نكن لها إلاّ ترجمة واحدة : أنت تكذب ! أتظن أنك ستحملنا التبعة ؟ حسناً ، سوف ترى لمن تكون الغلبة !

وعند احتدام المناقشة ، تدخل بائع آخر في الموضوع ، وقال : كل الحلل ذات اللون القاتم يحيل صباغها في أول الأمر ، ولا يسعنا أن نفعل شيئاً ، إزاء ذلك ، خاصة للحلل التي تباع بمثل هذا الثمن الرخيص !!

قال تلميذي :

وكنت على تلك اللحظة مجرد غاضب وحسب ، فلما المح البائع الثاني إلى أنني اشتريت بضاعة رخيصة بدأت أغلي كالمرجل ! وأوشكت أن أقول لهم : خذو حلتكم ، واذهبوا بها إلى الجحيم . ولكن رئيس القسم دخل علينا في تلك اللحظة ، ووسعه أن يذهب غضبي ، ويهدىء ثورتي ، وذلك بأن استخدم ثلاثة أشياء :

أولاً : استمع إلى قصتي من البداية إلى النهاية ، دون أن يقاطعني بحرف واحد !

وثانياً : ما أن أكملت حديثي حتى سلّم معي بأن لون الصباغ قد حال فعلاً ، وانذر البائع ألا يبيع شيئاً قط ما لم يستوثق من جودته ، ورضى العميل عنه .

وثالثاً : سألني ماذا أريد أن يفعل بالحلة ، وأظهر عزمه على أن يفعل حسبما أشير عليه .

وكنت إلى بضع دقائق خلت ، على استعداد لأن أقول لهم : احتفظوا ببضاعتكم الرديئة لأنفسكم ، ولكنني عندئذ ، أجبته : أني أسألكم النصيحة بدوري ، أريد أن أعرف هل ستظل الحلة تفقد لونها ، أم أن هذا طارىء مؤقت ؟! وهنا اقترح عليّ رئيس القسم أن أجرب الحلة لمدة أسبوع آخر ، فإذا لم أرض عنها أرجعتها إليهم .

وغادرت المتجر راضياً . وقد صلحت حال الحلة في نهاية الأسبوع ، واستعدت ثقتي التامة ببضاعة هذا المحل . وليس بعجيب أن يصبح هذا الرجل رئيساً لقسمه . أما البائعان فإنهما سيظلان . . . ـ كنت على وشك أن أقول أنهما سيظلان مجرد بائعين طول حياتهما ـ كلا ! بل ربما أنزلا درجة إلى قسم حزم البضائع ، حيث لا تكون لهما صلة بالعملاء على الاطلاق .

* * *

فإذا أردت أن تكسب الناس ، كن حكيماً في أن تكون مستمعاً طيباً ، مقدماً لمحدثك التشجيع على الكلام ـ عموماً ـ وعن نفسه .

توسل بالرفق واللين والرحمة

يقول الله ـ جل شأنه ـ وهو يبين للرسول الأعظم (ص) ، منهاج التعامل مع الناس :

﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[1] .

ويقول الإمام علي(ع) :

« الرفق مفتاح النجاح »[2] .

ويقول (ع) أيضاً :

« من عامل بالرفق غنم »[3] .

ويقول (ع) أيضاً :

من رفق لمصاحبه وافقه ، ومن أعنف به أحرجه وفارقه»[4] .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٥٩ .

(٢) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ١٤٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

ويقول (ع) أيضاً :

« لا يجتمع العنف ، والرفق »[1] .

من القواعد الاساسية في التعامل مع الناس ، والدخول إلى قلوبهم ، وكسبهم ، والتأثير فيهم ، استخدام الرفق ، واللين معهم . وذلك لأن الانسان يعيش مع بشر ، لهم مشاعر ، وعواطف فضلاً عن عقول ، وإرادات ، لا مع حيوانات ، وبهائم ، بل حتى هذه الأخيرة ، لا تفضل أن يتعامل معها الناس بالعنف ، وإنما تفضل الرفق واللين ، والرحمة .

خذ على سبيل المثال القطط ، فهذه إن عاملتها بالعنف والقسوة ، فلربما واجهتك بالخدش والتكشير عن أنيابها . ولكنك لو قمت بتمرير راحة يدك على شعرها برحمة وشفقة لأحست بالأمن ، والأمان منك ، وراحت تداعبك في هدوء ، وارتياح ، فرحة مسرورة بك ، وبتعاملك ، بل حتى القطط غير الأليفة ، حينما تتعود على المعاملة اللينة ، الرفيقة تتحول تدريجياً من قطط غير أليفة ، إلى قطط أليفة ! هذا بالنسبة للحيوانات ، فكيف بالناس الذين هم مكرمون على كل الخلائق ؟ .

إن الناس ـ بطبيعتهم لا يميلون إلى العنف والعنيفين في التعامل ، بل يميلون إلى الرفقاء اللينين ، ولا يميلون إلى الغضبين ، بل إلى الحلماء الذين يجعلونهم يشعرون بالوئام والسعادة .

* * *

ومن الأساطير التي تنقل في باب اللين والرفق ، الاسطورة التالية :

اختلفت الشمس والرياح . هذه تقول أنها أقوى وأفعل ، وأشد بأساً ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

وتلك تزعم هذه الصفات لنفسها دون الأخرى . وأخيراً قالت الرياح للشمس :
ـ أترين هذا العجوز المتدثر بمعطفه ؟ أتحداك أن تجعليه يخلع معطفه بأسرع مما أستطيع .

فقبلت الشمس التحدي ، وأهابت بالرياح أن تثبت قولها ، وأسرعت الشمس فاختبأت وراء غمامة ثقيلة ، بينما زمجرت الرياح ، وراحت تصول ، وتجول . ولكنها كلما ازدادت عصفاً ، كلما أحكم الرجل معطفه حول جسده ، وتشبث به . فلما يئست الرياح بإخفاقها ، ألقت سلاحها . وهنالك بزغت الشمس من وراء الغمامة وابتسمت في دعة ورفق للعجوز ، فما لبث أن تخلص من معطفه !

وعندئذ قالت الشمس للرياح :

ـ إن الرفق ، واللين قوة تفوق ما للغضب والعنف !

* * *

ويقال : أن رجلاً ، كان يستأجر شقة في بناية ، وكان جيرانه يسعون لتخفيض الايجار ، ولكنهم جميعاً أخفقوا في ذلك ، نظراً إلى أن صاحب البناية كان شديد البخل .

يقول الرجل : في البداية كتبت له رسالة ، وأخبرته بأنني سأخلي المسكن بمجرد أن ينتهي عقد الايجار ، إذا لم يخفض سعره . ولكن هذه المحاولة بدت ميؤوساً منها ، لأن سكاناً آخرين ، جربوا مثل هذا التهديد من دون أن ينفع ، فقلت لنفسي : لم لا أستعمل طريقة أخرى ؟ فقررت أن أستخدم اللين بدل العنف ، والمديح بدل الشتائم .

وبينما كنت أفكر في الأمر ، دخل عليّ صاحب الشقة ، ومعه سكرتيره ،

والرسالة التي فيها التهديد . فرحبت به باحترام بدل أن أكيل له كلمات التجريح ، و لم اتحدث عن إيجار السكن بل بدأت أتحدث عن جمال شقته وامتيازاتها ونقاط الجودة فيها وأبديت له التقدير المخلص ثم أردفت قائلاً :

إن ما أحصل عليه من الراتب لا يكفيني لكي أستمر في استئجار هذه الشقة وفوجىء المالك بهذا الموقف الرقيق ، لأنه ـ كما يبدو ـ كان يتوقع التجريح وقد هيأ رداً على ذلك .

ولكنه ماذا يفعل وقد واجهته برفق ولين ؟

فماذا كانت النتيجة ؟

أنه ومن دون أن أطلب منه خفض قيمة الايجار ، بدأ يتحدث لي عن الأخلاق غير الحسنة لبقية المستأجرين ، وقال : أنني تلقيت أربعة عشر خطاباً في شهر واحد ، بعضها جارح ومهين ، ولم أخضع لها إطلاقاً .

ثم أردف قائلاً : فيا لها من سعادة هانئة ، أن أجد مستأجراً مثالياً راضياً مثلك !

وحينما أراد أن يخرج من باب الشقة ، التفت اليّ وسألني في حنان : أمن زخرفة أستطيع أن أزين بها مسكنك ؟

ويقال : أنه حينما صنعوا العجلات للسيارة ، كان جل تفكيرهم ينصب على أن السيارة التي تزن قرابة طن واحد ، تحتاج إلى عجلات قوية جداً لتحملها ، ولكنهم نسوا أنه حينما تكون العجلات قوية وصلبة ، فستقاومها الأرض ، فكانت العجلات تتصدع ، وتتمزق . وفي نهاية المطاف توصلوا إلى حل يعتمد على الرفق بدل الشدة ، فاستعملوا الهواء المضغوط في الكاوتشوك ، لكي تستطيع العجلات أن تتحمل ثقل السيارة وقوة الأرض معاً . وهكذا تخلصوا من خطر تمزق السيارة ، كما تخلصوا من الأصوات الصاخبة

التي تنبعث من العجلات الحديدية القاسية .

* * *

والاسلام يطالبنا بالرفق حتى في العقاب .

يقول الإمام علي (ع) :

« إذا عاقبت فارفق »[1] .

والانسان إذا ما أمات ضميره ، وحالة اللين ، والرفق ، والرحمة فيه ، أو إذا ما ركز على تحقيق المصالح والمنافع المادية ، ولو باستخدام العنف وعدم الرحمة ، وظلم الآخرين ، فإنه يتحول إلى سبع ضار ، لا يهمه أن يقتل في سبيل تلك المصالح والمنافع ، وبالنتيجة تصبح عاقبته سيئة ، في الدنيا والآخرة .

روي عن أبي مخنف أنه قال :

لما قتل الحسين (ع) ، أسر من عسكره غلامان صغيران ، فأتي بهما إلى عبيد الله بن زياد (لعنه الله) ، فدعا بسجان له ، وقال له : خذ هذين الغلامين ، واسجنهما ، ومن طيب الطعام فلا تطعمهما ، ومن بارد الماء فلا تسقهما ، وضيّق عليهم سجنهما .

قال : فأخذهما السجان ، ووضعهما في السجن إلى أن صار لهما سنة كاملة ، حتى ضاقت صدورهما ، فقال الصغير للكبير : يا أخي ! يوشك أن تفنى أعمارنا ، وتبلى أبداننا في هذا السجن ، أفلم تخبر السجان بخبرنا ، ونتقرب إليه بمحمد المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فقال : هكذا يكون .

---

(١) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ١٤٥ .

فلما جنّهما الليل أتى السجان إليهما بقرصين من شعير ، وكوز من ماء ، فقام إليه الصغير فقال له : يا شيخ ! أتعرف محمداً المصطفى ؟ قال : وكيف لا أعرفه ، وهو نبيّ ، وشفيعي يوم القيامة . قال له : يا شيخ ! أتعرف علي بن أبي طالب ؟ قال : وكيف لا أعرفه ، وهو إمامي ، وابن عم نبيّ . قال له يا شيخ ! أتعرف مسلم بن عقيل ؟ قال : بلى ، أعرفه ، وهو ابن عم رسول الله ، فقال له يا شيخ ! نحن من عترة مسلم بن عقيل ، نسألك من طيب الطعام فلا تطعمنا ، ومن بارد الماء فلا تسقينا ، وقد ضيقت علينا سجننا ، فما لك وما لنا لا ترحمنا لصغر سننا ؟ أما ترعانا لأجل سيدنا رسول الله ؟

فلما سمع السجان كلامهما بكى بكاءاً شديداً ، وانكب على أقدامهما يقبلهما ، ويقول : نفسي لنفسكما الفداء ، وروحي لروحكما الوقا ، يا عترة محمد المصطفى ! والله لا يكون محمد خصمي في القيامة . هذا باب السجن مفتوح ، فخذوا أي طريق شئتما يا حبيبيّ ! سيروا بالليل واكمنا بالنهار .

قال : فلما خرجا لم يدريا إلى أي جهة يمضيان ، فلما جهجه الصبح عليهما دخلا بستاناً ، وصعدا على شجرة ، واكتنّا بها . فلما طلعت الشمس ، وإذا بجارية قد رأتهما فأقبلت إليهما ، وسألتهما عن حالهما ، وطيب قلوبهما ، وقالت لهما : « سيرا معي إلى مولاتي فإنها محبة لكما» . فسارا معها فسبقتهم الجارية ، فأعلمت مولاتها .

فلما سمعت بهما قامت حافية إليهما ، واستقبلتهما بالبشرى ، وقالت لهما : ادخلا على رحب وسعة ، فلما دخلا أنزلتهما في مكان لم يدخل إليه أحد من الناس ، وخدمتهما خدمة تليق بهما .

ثم أن ابن زياد نادى في شوارع الكوفة ، أن من جاءني بأولاد مسلم بن عقيل فله الجائزة العظمى . وكان زوج تلك المرأة من جملة من طلبهما . فلما

جنّ الليل ، أقبل اللعين إلى داره ، وهو تعبان من كثرة الطلب . فقالت له زوجته الصالحة : أين كنت فإني أرى في وجهك آثار التعب ؟ قال : أن ابن زياد قد نادى بأزقة الكوفة ، أن من جاءني بأولاد مسلم بن عقيل كان له عندي الجائزة العظيمة ، وقد خرجت في الطلب فلم أجد لهما أثراً ولا خبراً .

فقالت له زوجته : يا ويلك ! أما تخاف من الله ؟ ما لك وأولاد رسول الله تسعى إلى الظالم بقتلهم ، فلا تغرنك الدنيا . فقال : أطلب الجائزة من الأمير . قالت : تكون أقل الناس ، وأحقرهم عنده إن سعيت بهذا الأمر . فبينما هو بين النائم ، واليقظان ، إذ سمع الهمهمة من داخل البيت . فقال لزوجته : ما هذه الهمهمة ؟ فلا ترد عليه الجواب كأنها لا تسمع . فقعد وطلب مصباحاً ، فتناوم أهل البيت كأنهم لم يسمعوا ، فقام واشعل المصباح ، وأراد فتح الباب ، فقالت له زوجته ما تريد من فتح الباب ومانعته ، فقاتلها ، ومانعها وفتح الباب وإذا بأحد الولدين قد انتبه ، فقال لأخيه : يا أخي إجلس فإن هلاكنا قد قرب فقال له أخوه : وما رأيت يا أخي ؟

قال بينما أنا نائم ، وإذا بأبي واقف عندي وإذا بالنبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) وعلي والحسن والحسين (عليهما السلام) وقوف ، وهم يقولون لأبي : ما لك تركت أولادك بين الكلاب والملاعين ؟ فقال لهم أبي : وهاهما بأثري قادمين .

فلما سمع الملعون كلامهما جاء اليهما وقال لهما : من أنتما؟ قالوا: من آل الرسول. ومن ابوكم؟ قالوا: مسلم بن عقيل فقال الملعون: اني اتعبت اليوم فرسي ونفسي في طلبكما، وانتما عندي .

ثم أنه لطم الأكبر منهما لطمة أكبّه على الأرض حتى تهشم وجهه ، وأسنانه من شدة الضربة ، وسال الدم من وجهه ، وأسنانه ! ثم أنه كتّفهما كتافاً وثيقاً ! فلما نظرا إلى ما فعل بهما اللعين قالا : ما لك يا هذا ! أتفعل بنا هذا الفعل ، وامرأتك قد أضافتنا ، وأكرمتنا ، وأنت هكذا تفعل بنا ؟! أما تخاف الله

فينا ؟! أما تراعي يتمنا وقربنا من رسول الله ؟!

ولم يعبأ اللعين بكلامهما ، ولا رحمهما ، ولا رق لهما ، ثم دفعهما إلى خارج البيت ، وبقيا مكتفين إلى الفجر ، وهما يتوادعان ، ويبكيان لما جرى عليهما .

وأما المعلون فلما أصبح الصبح أخرجهما من داره ، وقصد بهما إلى جانب الفرات ليقتلهما ، وزوجته ، وولده ، وعبده خلفه ، وهم يخوفونه الله تعالى ، ويلومونه على فعله . فلم يرتدع اللعين ولم يلتفت إليهم حتى وصلوا إلى جانب الفرات .

وأشهر اللعين سيفه ليقتلهما ، فوقعت زوجته على يديه ورجليه تقبلهما ، وتقول له : يا رجل ! اعف عن هذين الولدين اليتيمين ، واطلب من الله الذي ما تطلبه من أميرك عبيد الله بن زياد ، فإن الله يرزقك عوض ما تطلبه منه أضعافاً مضاعفة . فزعق الملعون عليها زعقة الغضب حتى طار عقلها ، وذهل لبّها .

ثم قال للعبد : يا أسود ! خذ هذا السيف ، واقتل هذين الغلامين ، وائتني برأسهما حتى انطلق بهما إلى عبيد الله بن زياد ، وآخذ جائزتي منه ، ألفي درهماً ، وفرساً .

فلما همّ بقتلهما قال له أحد الغلامين : يا أسود ! ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! يا أسود ! ما لك ومالنا حتى تقتلنا ؟! امضِ عنّا حتى لا نطالبك بدمنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال لهما العبد : يا حبيبيّ من أنتما ؟ فإن مولاي أمرني بقتلكما . فقالوا : يا أسود ! نحن من عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله ، نحن من أولاد مسلم بن عقيل ، أضافتنا عجوزكم هذه الليلة ، ومولاك يريد قتلنا .

قال : فانكب العبد على أقدامهما يقبلهما ، ويقول : نفسي لنفسكما

الفداء ، وروحي لروحكما الوقا ، يا عترة محمد المصطفى ! والله لا يكون محمد خصمي يوم القيامة . ثم رمى السيف من يده ناحية ، وطرح نفسه في الفرات ، وعبر إلى الجانب الآخر ، فصاح به مولاه : عصيتني ! فقال : أطعتك ما دمت لا تعصي الله ، فلما عصيت الله عصيتك ، أحب إليَّ من أن أعصي الله واطيعك .

فقال اللعين : والله ! ما يتولى قتلكما احد غيري . فأخذ السيف ، وأتى اليهما ، وسلّ السيف من جفنه ، فلما هم بقتلهما جاء اليه ولده ، وقال له : يا أباه قدم حلمك ، واخر غضبك ، وتفكر فيما يصيبك في القيامة .

قال : فضربه بالسيف فقتله . فلما رأت الحرمة ولدها مقتولاً أخذت بالصياح ، والعويل ، فتقدم الملعون إلى الولدين ، فلما رأياه تباكيا ، ووقع كل منهما على الآخر يودعه ، ويعتنقه ، والتفتا إليه ، وقالا له : يا شيخ ! لا تدعنا نطالبك بدمائنا عند جدنا يوم القيامة . خذنا حيّن إلى ابن زياد يصنع بنا ما يريد . فقال : ليس إلى ذلك سبيل . فقالا له : يا شيخ ! بعنا في السوق ، وانتفع بأثماننا ، ولا تقتلنا ، فقال : لا بد من قتلكما . قالا له : يا شيخ ! ألا ترحم يتمنا ، وصغر سننا ؟! فقال لهما : « ما جعل الله لكما في قلبي من الرحمة شيئاً ! » . فقالا : يا شيخ دعنا نصلي كل منا ركعتين . قال : صليّا ما شئتما إن نفعتكما الصلاة .

قال : فصليا أربع ركعات ، فلما فرغا رفعا طرفيهما إلى السماء وبكيا ، وقالا : يا عادل ! يا حكيم ! احكم بيننا وبينه بالحق . ثم قالا له : يا هذا ! ما أشد بغضك لأهل البيت ! فعندها عمد الملعون ، وضرب عنق الأكبر ، فسقط إلى الأرض يخور في دمه . فصاح أخوه ، وجعل يتمرغ بدم أخيه ، وهو ينادي : واأخاه ! وا قلة ناصراه ! وا غربتاه ! هكذا ألقى الله وأنا متمرغ بدم أخي . فقال له الملعون : لا عليك سوف ألحقك بأخيك في هذه الساعة ، ثم

ضرب عنقه ، ووضع رأسيهما في المخلاة ، ورمى أبدانهما في الفرات .

وسار بالرأسين إلى عبيد الله بن زياد ، فلما مثل بين يديه وضع المخلاة فقال له : ما في المخلاة يا هذا ! قال : رؤوس أعدائك ، أولاد مسلم بن عقيل . فكشف عن وجهيهما ، فإذا هما كالأقمار المشرقة ، فقال : لم قتلتهما قال : بطمع الفرس والسلاح . فقام ابن زياد ثم قعد ثلاثاً ، وقال : ويلك ! وأين ظفرت بهما ؟ قال : في داري ، وقد أضافتهم عجوز لنا . فقال ابن زياد : أفلا عرفت لهما حق الضيافة ، وأتيت بهما حيّين إليّ ؟ فقال : خشيت أن يأخذهما أحد مني ، ولا أقدر على الوصول إليك .

وأمر ابن زياد أن يغسلوهما من الدم ، فلما غسلوهما وأتي بهما إليه ، ونظرهما فتعجب من حسنهما ، وقال له : يا ويلك ! حين أردت قتلهما ما قالا لك ! قال : قالا لي : يا شيخ ! ألا تحفظ قرابتنا من رسول الله ؟! قال : فما قلت لهما ؟ قال : قلت لهما : ما لكما من رسول الله قرابة . قال : فماذا قالا لك أيضاً ؟ قال : قالا لي : ألا ترحم صغر سننا ؟! فقلت لهما : « ما جعل الله لكما في قلبي من الرحمة شيئاً » . قال : فما قالا لك أيضاً ؟ قال : قالا لي : امض إلى السوق فبعنا ، وانتفع بأثماننا ، فقلت لهما : لا بد من قتلكما . قال : فماذا قالا لك أيضاً ؟ قال : قالا لي : ألا تمضي بنا إلى ابن زياد يحكم فينا بأمره . فقلت لهما : ليس إلى ذلك سبيل . قال : فماذا قالا لك أيضاً ؟ قال : قالا لي : دعنا نصلي كل واحد منا ركعتين ، فقلت لهما : صليا إن نفعتكما الصلاة ، فصليا أربع ركعات ، فلما فرغا من الصلاة ، رفعا طرفيهما إلى السماء ، ودعيا ، وقالا : يا حي ! يا حكيم ! احكم بيننا وبينه بالحق .

ثم نظر ابن زياد إلى ندمائه ، وكان فيهم محب لأهل البيت ، وقال له : خذ هذا الملعون ، وسر به إلى موضع قتل فيه الغلامين ، واضرب عنقه ، ولا

تدع أن يختلط دمه بدمهما ، وخذ هذين الرأسين وارمهما في موضع رمى به أبدانهما .

قال : فأخذه . وسار به وهو يقول : والله لو أعطاني ابن زياد جميع سلطته ما قبلت هذه العطية ، وكان كلما مرّ بقبيلة أراهم الرأسين ، وحكى لهم بالقصة ، وما يريد بفعل بذلك اللعين .

ثم سار به إلى موضع قُتل فيه الغلامان ، فقتله بعد أن عذبه بقطع عينيه ، وأذنيه ، ويديه ، ورجليه ، ورمى بالرأسين في الفرات .

قال : فخرجت الأبدان ، وركبت الرؤوس عليها بقدرة الله تعالى ، ثم تحاضنا ، وغاصا في الفرات . ثم أن ذلك الرجل المحب أتى برأس ذلك اللعين ، فنصبه على قناة ، وجعل الصبيان يرجمونه بالحجارة[1] .

يقول الإمام علي (ع) :

« الغضب مركب الطيش »[2] .

« الغضب يفسد الألباب ، ويبعد عن الصواب »[3] .

« العاقل من يملك نفسه إذا غضب، وإذا رغب ، وإذا رهب »[4] .

« ضادوا الغضب بالحلم »[5] .

« بلين الجانب تأنس النفوس »[6] .

---

(١) المنتخب للطريحي .
(٢) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٢٩٢ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٩٣ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

« كن ليناً من غير ضعف ، شديداً من غير عنف »[1] .

« من لانت عريكته ، وجبت محبته »[2] .

والآن فلكي يحف بك الناس ، ولكي تكون ناجحاً في تعاملك معهم ، توسل باللين ، والرفق ، والرحمة ، ودع الشدة ، والعنف ، والغضب ، والقسوة .

(١) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

خاطب الدوافع النبيلة في الناس

يقول الإمام علي (ع) :

« كفى بفعل الخير حسن عادة »[1] .

في داخل كل إنسان نفحة من الروح ، وطينة من الحمأ المسنون ، مهما كان حال الإنسان ، خيّراً كان أو شرّيراً . فحتى ذلك الشرير ، حينما تخاطب جذور الدوافع النبيلة الموجودة فيه ، وتتوسل بها في تعاملك معه ، فانه يشعر في قرارة نفسه أنك ذو فضل عليه ، وأنك تقدره ، وتحترمه ، وبالتالي فانه يخجل من أن لا يتعامل معك بطريقة لائقة . هذا بالنسبة للإنسان الشرير ، فكيف بالخيّر ؟

بلا ترديد ، أن الدوافع النبيلة أكثر استيقاظاً في الانسان الخيّر ، منه في الشرير لأن الأول هو البيئة الصالحة للخير .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن التوسل بالدوافع النبيلة والخيرة في الناس ، ومخاطبتها طريقة للتعامل الحكيم معهم ، وجذبهم ، والتأثير فيهم .

---

(١) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ١٠١ .

فمثلاً إذا قلت لشخص ما : انني أثق بك ، وأصدق وعودك ، فانه حتى لو كان ممن ليس كذلك لا بد أنه سيحاول أن يحتفظ بتلك الصورة التي ارتسمت عندك عنه . وكما يقال : حينما تبني للانسان قصراً من الزجاج في قلبك ، فلن يحاول أن يرميه بحجر !

وحينما تطلب من إنسان القيام بعمل ، وتبدأ طلبك بأن تقول له : انني أتوسم فيك الخير ، وأني لواثق من أنك لن ترد طلبي ، فإنه سيقوم بالعمل لك . ولن يردك خائباً .

وقد تسأل : لماذا ؟

والجواب : لأنك رسمت له صورة جميلة في ذهنك ، وتوسلت بدوافع النبل في أعماقه .

وما من إنسان إلا ويحب الخير في قرارة قلبه ، والتعامل معه على هذا الأساس ، لا بد وأن يثير الرغبة فيه فعلاً ، وتتجه كل خلية من خلاياه نحو العمل الصالح ، فالإنسان حتى لو كان شريراً فانه لن يعترف بأنه شرير . ولربما يعتقد أو يدعي بأنه يتوسل في معاملاته مع الناس بطريقة صالحة .

* * *

يقال أن صحفياً أراد أن يلتقط صورة فوتوغرافية في حالة غير لائقة لأحد المشاهير ، فالتفت إليه الآخر ، وقال له : أن مثل هذه الصورة لن تروق لأمي ، ولن ترضيها . وسرت هذه الكلمات في مسامع الصحفي ، وحركت مشاعره ، فامتنع عن التقاط الصورة . والسبب أن الأول توسل بدافع نبيل في الانسان ، وهو حبه لأمه ، ومحاولته جلب رضاها .

* * *

ويقال أنه كان لدى صاحب شركة كبيرة مستأجر مشاكس لا يفتأ يهدده بإخلاء مسكنه بين آن وآخر ، وقبل انقضاء عقد الايجار بأربعة شهور ، أنذر هذا المستأجر بأنه سيخلي مسكنه ، بغض النظر عن العقد المبرم بينهما .

قال السيد صاحب الشركة وهو يروي القصة :

« قضى هذا الرجل في بيتي فصل الشتاء بطوله ، وهو أسوأ فصول السنة ، وأكثرها ازدحاماً براغبي السكن ، ومن ثم أيقنت أنه إذا أخلى مسكنه فسيتعذر على أحد بديلاً منه قبل حلول الشتاء الثاني . ورأيت بعين خيالي مائتين وعشرين دولاراً ـ هي المبلغ المتبقي في عقد الايجار ـ تذروها الرياح . وكنت في حالة كهذه أهرع إلى المستأجر ، وأنصحه ساخراً ، أن يقرأ العقد مرة ثانية ، فإذا اعتزم إخلاء المسكن ، وجب أن يدفع باقي الايجار نقداً وعدّاً !

ولكنني بدلاً من تمثيل هذا المشهد ، قررت أن أجرب أسلوباً آخر ، فذهبت إلى المستأجر العنيد ، وبدأت حديثي معه كالتالي :

لقد استمعت إلى قصتك ، ولكني ما زلت مستريباً في أنك تنوي الانتقال حقاً ، ان خبرة أعوام طويلة في تأجير المنازل قد علمتني شيئاً عن الطبيعة الانسانية ، وقد توسمت فيك من البداية رجلاً يحافظ على وعده ، وما زلت عند حسن ظني بك ، ولهذا اقترح عليك أن تنحي قرارك جانباً لبضعة أيام ، وتفكر في الأمر ، فإذا أتيت إليّ في أول الشهر المقبل ـ عندما يحل موعد دفع الايجار ـ وأخبرتني أنك ما زلت مصرّاً على الانتقال ، فإني أعدك أن أتنازل عن حقوقي كافة ، وأسلم بأني كنت مخطئاً في ظني ! على أنني ما زلت أعتقد أنك رجل يحافظ على كلمته ، ويقوم على تنفيذ وعده ، إذ نحن آخر الأمر ، أما آدميون أو قردة ، والخيار عادة متروك لنا .

فلما أقبل الشهر التالي ، أتى الرجل ، ودفع الايجار ، ثم حدثني بأنه

تناقش وزوجته في الموضوع ، فقرّ رأيهما على أنه أكرم لهما وأشرف أن يوفيا بتعهداتهما لي ! .

* * *

وثمة نقطة من المهم ذكرها ، أن الإنسان تحت ظروف خاصة ـ كتحقيق منافع ، أو كسب رضا السلطان والتزلف له ـ قد يميت دوافع النبل ، والخير فيه ، فمهما توسلت بالدوافع النبيلة فيه فإنه يخالف عقله ، فلا يستجيب ويصر في عناده . وهذا كما مر في قصة ولدي مسلم بن عقيل ، الصغيرين ، فكلما توسل الغلامان بدوافع النبل في ذلك الجلاد ، أصرَّ الأخير على تنفيذ القتل ، حتى قتلهما .

* * *

فلكي تتعامل مع الناس بحكمة ونجاح ، وتكسبهم إلى جانبك ، اعمل على أن تخاطب دوافع النبل ، والخير فيهم .

حبب الآخرين في الأعمال التي تقترحها عليهم

من الأمور التي يلزم للإنسان أن يدركها في معاملته للناس، أنهم ينطلقون في أداء الأعمال التي يرغبون فيها ، فضلاً عن الأعمال التي يندفعون فيها اندفاعاً ذاتياً ، وهذا أمر طبيعي . وعليه فلا ننتظر من الآخرين أن يقوموا لنا بأعمال ، تبدو وكأنها قرارات ، بعيدة عن ترغيبنا لهم ، وتحبيبنا .

ولنضرب لهذه القاعدة مثالاً :

أنت تريد أن تكلف إنساناً بتدريس مجموعة من الطلاب في جانب معين . فتأتي وتقول له بصدق نية ، وإخلاص : أن مهنة التدريس من المهن الانسانية المؤثرة اللطيفة ، وللمدرس الدور الكبير في تعليم الآخرين ، ونقلهم من مستوى إلى آخر ، وفي توجيههم ، وتربيتهم ، فهو الذي علم المهندس ، والطبيب ، وكل أخصائي في الحياة . وأني لأنتظر منك أن تصبح مدرساً قديراً في الجانب المحدد لك ، كما أنني لا أشك في قدرتك على التدريس ، وفي كونك محب لهذه الخدمة الانسانية . وأنه لثواب وفير ينتظرك في اليوم الآخر قبال هذه الخدمة .

وبعد هذا ، لا مجال للغرابة إذا وجدنا هذا المدرس ينطلق بإخلاص

ويتفاعل في التدريس ، ويقوم به على خير وجه ، والسبب يرجع إلى الرغبة والحب اللذين أحدثتهما في هذا الانسان ، تجاه خدمة التدريس .

وهكذا الحال بالنسبة لأعمال الخير الأخرى ، فتحبيب الناس فيها وترغيبهم ، وسيلة إنسانية تجعلهم ينطلقون بنشاط في أدائها .

والتحبيب لا ينحصر فقط في متطلبات الحياة الاجتماعية ، بل حتى في الواجبات والفرائض . فربّ تارك للصلاة تأتي إليه وتقول له : كم هي المتعة الروحية ، والراحة النفسية حينما يتوجه الانسان للصلاة ضارعاً إلى ربه ، وكم هو الثواب الذي ينتظره ، فتجده يندفع إلى صلاة ربه . ورب مفطر تأتي إليه وتحبب الصوم إليه ، كأن تقول له : ما أعظم الصوم ! وما أعظم درجة الصائم عند الله ! وتبين له الفوائد الجسمية والنفسية التي يتركها الصوم على الصائم ، فيندفع إلى الالتزام به .

فلكي تكون حكيماً ناجحاً في تعاملك مع الناس ، حببهم ورغبهم في الأعمال التي تقترحها عليهم .

كيف تطلب ما تريد ؟

باعتبار أن الحياة قائمة على التعاون والتكامل فإن كل فرد فيها لا بد وأن يحتاج لأن يطلب من الآخرين القيام بعمل ما . والناس متفاوتون في تقبلهم للأوامر ، فقسم منهم لا يريد أن يؤمر ، بل يريد أن يُلتمس منه ، أو أن يرجى في القيام بعمل معين ، وقسم آخر لا يمانع في الاستماع إلى الأوامر ، وله قابلية الاستجابة إليها . إلا أن غالبية الناس لا تفضل الأوامر المباشرة ، لأنهم قد يحسون أنها تنال من شخصياتهم ، وكبريائهم ، ويفضلون أن تقدم لهم الطلبات في صورة رجاءات أو اقتراحات ، أو تمنيات ، أو آمال ، أو ما شابه ذلك .

ولنضرب لذلك مثالاً :

لدينا موظف . أنه لا مانع عنده أن يلبي الطلبات ، والأوامر ، إذا كان قد تلقاها من مديره ، أو من غيره ، في صورة التماس ، ورجاء ، بل أنه ينطلق في تلبيتها . لكنه غير مستعد لتنفيذ الأوامر المباشرة ، أو قد ينفذها من وراء أنفه .

من هنا فإن مراعاة الجانب النفسي للطرف الآخر ، من أهم الأمور في التعامل مع الناس ، وفي أي موقع من المواقع ، وأي مؤسسة من المؤسسات .

وهناك الكثير من التعبيرات الحسنة في هذا المجال ، وقد تجعل الطرف

الآخر يقوم بالأعمال من تلقاء نفسه ، ومن تلك التعبيرات : « آمل أن كذا وكذا . . . » ، « من الجيد لو . . . » ، «أتمنى لو . . .»، « من المفضل كذا وكذا . . . » ، « أقترح أن كذا وكذا . . . » ، « ما رأيك في أن تقوم بكذا وكذا . . . » ، « هل لك أن تقوم بكذا وكذا . . . » ، « أرجو أن كذا وكذا . . . » ، « ألتمس منك أن تساعدني في . . . » .

ولو أن الإنسان استخدم عقله جيداً لتوصل إلى الكثير من العبارات اللطيفة التي تعطي مفهوم الطلب ، والأمر للآخرين لكي يقوموا بأداء أعمال معينة ، ولكن بصورة فنية غير مباشرة . ولا غرابة إذا وجدنا كثيرين من الناس ، يندفعون للقيام بالأعمال بإشارات ، أو رموز كلامية فنية ، تقدر شخصياتهم وتحفظ كرامتهم ، وتراعي مشاعرهم .

ثم أن أسلوب الاقتراحات ، والتمنيات ، والالتماسات ، يجعل من السهل على الطرف الآخر أن يصحح خطأه ، فيما إذا كان مخطئاً ، لأنه يحتفظ له بشخصيته ، ويشيع فيه الإحساس بالأهمية ، ويسلس قياده ، ويدفعه إلى التعاون بدل أن يحفزه إلى العناد .

ويمكنك أن تجرب بنفسك ، كأن تقول لشخص تعرفه أتمنى لو كنت تساعدني في عملي هذا ، أو بأسلوب يشابه هذا الأسلوب ، فانه سيهب لمساعدتك . أما لو طلبت منه ذلك في صورة أوامر ، فانه لن يستجيب لك ، وربما يرد عليك بأن يقول لك : من أنت حتى تصدر أوامرك عليّ ؟

وإضافة على أن غالبية الناس لا تفضل استقبال الأوامر المباشرة ، فإن قسماً منهم لا يستسيغ استقبالها أمام جمع من الناس . لأن الأمر المباشر أمام جمع من الناس ، له تأثير لا إيجابي أكبر منه بشكل ثنائي . وكقاعدة : أن نوع معدن الانسان ، وطبيعته البشرية ، وحالته النفسية هي التي تحدد طريقة الطلب منه .

فلكي تجعل الناس يندفعون في الأعمال التي تنتظرها منهم ، لا تصدّر الأوامر المباشرة ، واطلب ما تريد في صورة التماس ، أو رجاء ، أو تمني ، أو أمل ، أو اقتراح ، أو ما شاكل ذلك .

لا تلم الآخرين ولا تعاتبهم

يقول الإمام علي (ع) :

« عاتب أخاك بالإحسان إليه ، واردد شره بالإنعام عليه »[1] .

ويقول (ع) أيضاً :

« احتمل أخاك على ما فيه ، ولا تكثر العتاب فانه يورث الضغينة ، ويجر إلى البغضة ، واستعتب من رجوت عتباه »[2] .

ويقول (ع) :

« الافراط في الملامة يشب نار اللجاجة »[3].

ويقول (ع) :

« لا تكثرنّ العتاب فإنه يورث الضغينة ، ويدعو إلى البغضاء »[4] .

---

(١) نهج البلاغة ، ص ٥٠٠ .

(٢) ميزان الحكمة ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٣) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٣٥٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

ويقول (ع) :

« العتاب حياة المودة »[1] .

ويقول (ع) :

« لا تعاتب الجاهل فيمقتك ، وعاتب العاقل يحبك »[2] .

يقول أحد علماء علم النفس الاجتماعي :

« عندما كنت فتى يافعاً ، حاولت جاهداً أن ألفت الأنظار إليّ إرضاء لغروري ، وأنانيتي ، فكتبت يوماً رسالة إلى شخص أعرفه ، وكان يومئذ مؤلفاً ذائع الصيت . قلت له فيها :

إنني أعد مقالاً لإحدى المجلات عن مشهوري المؤلفين ، ثم رجوته أن يفضي إليّ بطريقته في التأليف ، وكنت قد تلقيت قبل ذلك رسالة من كاتب شهير ، ذيّلت بهذه الحاشية : « أملَيتَ ، ولم تُراجِعْ » . فوقعت هذه الحاشية من نفسي موقعاً عميقاً ، وأحسست أن الكاتب لا بد أن يكون كثير العمل ، عظيم الشأن ، ولم أكن كثير العمل ، ولا عظيم الشأن ، ولكن أردت أن أقع من نفس هذا الرجل هذا الموقع ، فختمت رسالتي إليه بهذه الحاشية : أمليت ، ولم تراجع » !

ولم يتكلف الرجل عناء الرد على رسالتي ، واكتفى بأن ردها إليّ برجوع البريد ، وعليها هذه العبارة : « أن سوء أدبك لا يفوقه إلا سوء أدبك » . ولا شك أنني كنت أستحق هذا التأنيب ، ولكني بشر ، ولهذا امتعضت ، وثرت ثورة مضرية ، حتى أنني حين قرأت نعي ذلك الرجل بعد ذلك بعشر سنوات،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

ـ وكم يخجلني أن أقول هذا ! ـ لم استشعر غير الألم الذي سببته ليّ عبارته ! » .

* * *

سؤال يطرح فيما يتعلق باللوم والعتاب :

هل المطلوب منا أن نعاتب الآخرين حيال أخطائهم ، وتقصيراتهم ، أم نسكت ونرضى عليها ؟

أم المطلوب أن نكون معتدلين ، وسطيين في العتاب ، طبقاً لقاعدة « لا إفراط ، ولا تفريط » ؟ .

أم المطلوب أن نحسن إلى الآخرين بدلاً من أن نعاتبهم ، ونلومهم ؟ .

وقبل الاجابة ، ينبغي التذكير بأن اللوم والعتاب ، تارة يكون من أجل إهانة الطرف الآخر ، وتحطيم شخصيته ، وتارة أخرى يكون من أجل تقويم سلوكه ، وممارسته . فالنوع الأول مرفوض أساساً ، ونحن بصدد دراسة النوع الثاني ، والكيفية الفضلى في تقديمه .

كما ينبغي أن تتذكر أنك في معاملتك للناس ، لا تعامل ـ في الغالب ـ أهل منطق ، بل أهل عواطف ، ومشاعر ، وأنفس حافلة بالأهواء ، ملأى بالكبرياء ، والغرور . واللوم والعتاب ، شرارة خطيرة قد تؤدي إلى التمادي في العناد إلى الفعل المزجور عنه ، وقد تؤدي إلى العناد في الخصومة ، وتوريث الحقد والعدواة ، وفي وسعها أن تضرم النار في وقود الكبرياء ، وأن تضرمها ناراً قد تعجل بالموت أحياناً ! .

كما يجب أن تتذكر أيضاً أن كثيراً من التصرفات الصغيرة الخاطئة التي تصدر من الآخرين ، ليست بحاجة إلى لوم أو عتاب ، ويمكن لك تجاوزها .

أما في القضايا الأكبر فيجب أن لا تنسى الطريقة المثلى في تقديم اللوم والعتاب . فالعتاب في حد ذاته ـ كما ذكرنا ـ وسيلة للنقد ، ولتقديم التصرفات ، وتصحيحها ، ولكن بأي طريقة يجب أن يكون ؟

هل بالكلمات اللاذعة ، الجارحة لمشاعر الآخرين ؟

هل بالأسلوب الهجومي ؟

أم بالأسلوب اللبق ، الايجابي ، غير المباشر ؟

وفي الحقيقة لا شيء أفضل من تجنب اللوم والعتاب ، أو على أقل التقادير ، الاعتدال فيه مع الطريقة الفنية في تقديمه . أنك بدلاً من أن تعاتب الآخرين ، وتلومهم بكلمات جافة لاذعة ، يمكنك أن تحسن إليهم بعمل يذكرهم بخطئهم ، فيكون عملك هذا بمثابة إشارة حسنة لهم من أجل أن يصححوا من ممارساتهم .

وعليه فليكن لومنا وعتابنا للآخرين عامل تشجيع منّا لهم ، لا عامل تثبيط وتحطيم ، وليكن كريشة الفنان التي تداعب اللوحة الفنية برفق ورعاية ، واعلم أن من كثر لومه ، وعتابه ، انفض الناس ، وتفرقوا من حوله ، وعاش وحيداً .

الأمر الآخر أن الناس تختلف في تقبل اللوم والعتاب ، فالعقلاء يعتبرون العتاب وسيلة للحب لأن فيه توجيه لهم ، وهنا يكون العتاب حياة للحب ، أما الجهلاء فإنك إن عاتبتهم كرهوك ومقتوك . إذن : عاتب الآخرين بالاحسان إليهم ، ولا تكثر اللوم والعتاب ، وتجنب العتاب على التوافه والجزئيات .

تحاش الجدال !

يقول الله ـ جل شأنه ـ :

﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [1] .

ويقول الإمام علي (ع) :

« لا محبة مع كثرة مراء »[2] .

ويقول (ع) أيضاً :

« ثمرة المراء الشحناء »[3] .

ما من إنسانين يجتمعان ، ويتبادلان الآراء ، إلا ويحصل بينهما تفاوت فيها ، ولا يعني هذا أن المطلوب من الناس أن تختلف مع بعضها ، لأن الاختلاف وإن كان قضية موجودة في الحياة ، فإن الدين لا يدعو لها ، إذا كانت

(١) سورة النحل ، آية : ١٢٥ .
(٢) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٣٦٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٦٤ .

مدعاة إلى عدم الائتلاف ، وهدم الآراء ، وشق الوحدة .

وقد يلتقي اثنان ويتحادثان في موضوع ما ، فيتصلب أحد الطرفين لرأيه ، بصرف النظر عن كونه على الصواب ، أو على الخطأ .

وأنت قد تشترك في جلسة استشارية مع بعض إخوانك ، لمناقشة موضوع معين ، فأنت عقل ، وإخوانك مجموعة عقول ، ومن هنا فإن مسألة الاختلاف في الآراء تكون واردة ، وإن كان هناك اتفاق على الأطر العامة . وتبادل الآراء بشكل موضوعي ، هادىء ، هادف ، هو قصد القرآن من المجادلة بالتي هي أحسن . أما أن يتحول النقاش ، أو تبادل الآراء إلى حلبة مصارعة وتعصب فكري ، فهذا مما لا تحمد عواقبه ، ومما لا يؤيده ويقرّه الاسلام ، والقرآن . ولا يعني ذلك أن تتنازل عن آرائك الحقة ، فبدل أن تصرف الجهد ، والوقت في ايصال أفكارك الحقة إلى إنسان مجادل ، توقف عن الجدال ، وأوصل أفكارك إلى من هو أهل لها .

هب أنك اختلفت مع طرف آخر حول قضية ما ، فهنا يحدث أمر من أمرين : أما أن يكون هو المخطىء وأنت المحق ، أو العكس . فإذا كنت أنت المخطىء فسلم بخطئك ، وإذا كنت أنت المحق ، فلا بأس أن تبين له فكرتك بشكل واضح ، ومحدد وبالتي هي أحسن . وإذا أصر الطرف الآخر على أن فكرته هي السليمة ، وجادلك من أجل إخضاعك لآرائه ، فإن أفضل طريقة لإنهاء هذا الجدال ، هو أن تتجنبه . لأن هذا الجدال سيتحول إلى نقاش عقيم من جهة ، ومن جهة أخرى أن علاقتك الاجتماعية مع الطرف الآخر لا يستبعد أن يُدق فيها أسفين الشحناء ، والتباغض ، والتباعد ، فضلاً على أن شخصيتك قد تهان ، أو تسقط إذا استمريت في الجدال .

وليس الأمر مقصوراً على التعامل الانساني بين الناس ، بل حتى في

مجال الدعوة إلى الاسلام ، والعمل الاسلامي ، يلزم أن يكون العمل منظماً ، ومقنناً ، وأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن هي الأسلوب المتبع ، فليس المطلوب من المؤمنين أن يدخلوا في نقاشات ، وحوارات ، ومجادلات عقيمة ، سواء مع الكفار ، أو مع غيرهم ، بل الأفضل أن يصرفوا جهودهم في ايصال الاسلام إلى من هو أهل له . وقد تقنع كافراً بفكرتك عن طريق اخضاعه بالجدال ، والمراء ، ولكن ثق تماماً ، أن ذلك الاقتناع ليس إلا ريشة في مهب الريح ! .

* * *

يقول أحد علماء النفس :

منذ سنوات مضت التحق بمعهدي رجل مولع بالجدال والتحدي . كان يشتغل وسيطاً لإحدى شركات سيارات النقل ، ولكنه لم يصادف نجاحاً يذكر ، ولهذا لجأ إليّ فاستكشف أن سرّ إخفاقه هو طول باعه في اللجاجة ، والجدال ! وعندئذ لم يكن همي الأول أن أعلّم هذا الرجل كيف يتكلم ، بل كان همي الأول أن أدرّبه على ألّا يتكلم ! والرجل الآن في القمة وبين وسطاء شركة (س) للسيارات ، في مدينة « ن » ، فكيف تأتّى له ذلك ؟ ها هي قصته كما رواها :

دخلت يوماً مكتب عميل كنت أرغب في أن أبيعه سيارة جديدة ، فما أن علم بمهمتي حتى صاح : ماذا ؟ سيارة من (س) ، إنها أسوأ السيارات جميعاً ، بل أنني لا أقبلها لو أعطيتني إياها بلا مقابل ! إنني سأشتري سيارة من شركة (ص) ! وعندئذ قلت له : خيراً ما تفعل يا سيدي ! إن شركة (ص) شركة طيبة ، وبائعوها رجال طيبون .

وسرعان ما زالت عن الرجل حدّته الأولى ، فلم يبق هناك مجال للجدل ما دمت قد أقررته على وجهة نظره ! أنه لن يقضي طول اليوم يقول : أن

سيارة (ص) أحسن ما دمت أنا قد وافقته على ذلك . وانتهزت فرصة سكوته ، فرحت أطرق نواحي القوة في سيارة (س) ، والفروق الدقيقة بينها وبين سيارات (ص) ، فلم أغادر مكتبه ذلك الصباح حتى كنت قد بعته سيارة جديدة !

وقد مرّ بي زمن كانت فيه عبارة جارحة كتلك التي فاه بها العميل ، تجعل الدم يغلي في عروقي ، فأشن على العميل حرباً عواناً ، وأهاجم سيارات (ص) في قسوة عنيفة ، وكلما ازددت هجوماً على (ص) ، كلما استمسك المشتري برأيه في أفضليتها ، وكلما أمعن المشتري في الجدال ، كلما كان أدنى إلى شراء بضاعة منافسي ! .

وأنا إذ أنظر اليوم إلى الماضي ، أعجب كيف وسعني أن أبيع شيئاً على الاطلاق ! لقد ضيعت سنين من عمري ، على غير طائل في الجدال ، والشجار .

والأخطر في الجدل والمراء ، أن يجادل الانسان ويماري بالباطل ، فهذا لن يزيده إلا انحرافاً عن الحق ، وعمى عنه .

يقول الإمام علي (ع) :

« من كثر مراؤه بالباطل دام عماؤه عن الحق »[1] .

* * *

فلكي تتعامل مع الناس بالتي هي أحسن ، عليك بهذه القاعدة الحكيمة : تجنّب الزوايا الحادة ، ولا تكثر الجدال والمراء .

---

(١) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٣٦٤ .

كن متحدثا لبقا

يقول الإمام علي (ع) :

« من حسن كلامه كان النجح أمامه »[1] .

اللباقة ـ عموماً ـ هي الليونة في الأخلاق ، واللطافة ، والظرافة . واللباقة في التحدث هي الليونة ، واللطافة ، والظرافة فيه . وهي من الصفات التي تتمتع بها الشخصية الاجتماعية الحكيمة . فالانسان الذي يجيد كيف يتكلم ، وكيف يجري حواراً ، أو نقاشاً مع طرف آخر بشكل إيجابي هادىء ، لا شك أنه حكيم . ومن الحكمة ، واللباقة في النقاش ، البدء بنقاط الاتفاق وتأكيدها ، والحصول من الطرف الآخر على موافقات .

* * *

يقول أحد المؤلفين :

قال « ج . ا . » وسيط شركة « و . هـ » للمنتجات الكهربائية :

كان في بلدنا عميل تتلهف شركتنا على معاملته . وبعد ثلاثة عشر عاماً

(١) شرح الغرر والدرر ، ج ٧ ، ص ٣٣٦ .

من المحاولات المتكررة ، والمساعي الدائبة ، أفلحنا في أن نبيعه شيئاً من منتجاتنا . على أنني ما أن زرته بعد هذه الصفقة بقليل حتى فاجأني العميل بقوله : « ج . ا » ! أنني لن أشتري منكم شيئاً ما حييت .

ـ لماذا ؟

ـ لأن محركاتكم شديدة الحرارة ، لا أستطيع حتى أن ألمسها بيدي أثناء اشتغالها !

وأدركت أن الجدال لن يجديني فتيلاً ، فرأيت أن أطبق مبدأ الاجابة بنعم ، قلت له :

ـ إذا كان ما تقوله صحيحاً ، يا سيد « س » ! فلا ينبغي لك أن تشتري منا شيئاً بعد اليوم . أن من حقك أن تحصل على محركات لا تزيد درجة حرارتها عن المعدل الذي حدّده اتحاد المنتجات الكهربائية الوطني . أليس كذلك ؟

ـ نعم .

لقد قرر اتحاد المنتجات الكهربائية الوطني ألا تزيد درجة حرارة المحرك على ٧٢ درجة فهرنهيت فوق درجة حرارة الغرفة التي يدار فيها المحرك . أليس كذلك ؟

ـ نعم . ولكن محركاتكم تزيد عن ذلك بكثير .

ولم أجادله ، بل سألته :

ـ كم درجة حرارة الغرفة ؟

ـ ٧٥ درجة فهرنهيت ، على وجه التقريب .

ـ حسناً ، إذا كانت درجة حرارة الغرفة هي ٧٥ درجة ، أضف إليها ٧٢

درجة أخرى ، لأصبح المجموع ١٤٧ درجة فهرنهيت .

ـ نعم .

وعندئذ قلت مقترحاً :

ـ أفلا يحسن بك اذن ان تبعد يديك عن المحرك أثناء دورانه ؟

فقال أخيراً :

ـ أظن أنك على صواب !

وقبل أن أنصرف في ذلك اليوم أوصاني بما قيمته ٣٥/٠٠٠ ريال من الآلات .

* * *

واللباقة في الكلام لا تعني بحال الاحتيال على الناس ، وجني المصالح منهم ، بل هي خلق يعتمد على الاخص ، والنية الصادقة . ويلزم لمن يستعمل اللباقة من أجل المادة والمصالح بعيداً عن مبادىء الدين ، أن يعيد النظر في فهمه لمعنى اللباقة ، وإن كانت المصالح المتبادلة المشروعة البعيدة عن الاستغلال ، والاحتيال ، لا بأس بها .

واللباقة ـ كخلق وأدب ـ مطلوبة في الحوار الكلامي ، والنقاش ، ومن اللباقة إعطاء الطرف الآخر ، فرصة التحدث ، وإبداء الآراء .

ومن الأمور غير الايجابية التي تحدث في هذا المجال ، أنك ترى قسماً من الناس إذا تحاوروا أو تناقشوا مع غيرهم ، تنظر إليهم وكأنهم في غابة ، فلا مجال لآداب الكلام عندهم ، فهذا يتكلم ، والآخرون يتكلمون في نفس الوقت ، فتحدث غوغاء كلامية متعبة ، وربما مصحوبة بالانفعال ، والغضب ، والتعصب .

وللأسف الشديد أن قسماً من الناس في مجتمعاتنا ينقصهم عنصر اللباقة في التحدث والحوار ، مع أن الاسلام أمرنا ، بخلق اللباقة قبل أكثر من ١٤٠٠ عاماً . ولو أنهم التزموا نظاماً في التحدث ، واستخدموا اللباقة ، لوفّروا على أنفسهم الكثير من الوقت ، والعناء ، ولتوصلوا إلى ما يريدون بكل سهولة ويسر .

ولقد أعطى الاسلام للقول والكلام ، قواعد ، وآداباً ، وحدوداً لكي يكون الانسان حكيماً في قوله وكلامه ، وما أكثر هذه القواعد ، والآداب ، والحدود !

فإذا أردت أن تكسب الناس ، كن حكيماً في أن تكون متحدثاً لبقاً ، وبإخلاص .

سلّم بأنطائك

تقول الحكمة الشهيرة :

« الاعتراف بالخطأ فضيلة » .

ما الذي يدفع الانسان إلى عدم الاعتراف بخطئه ، وهو يرى الحقيقة ماثلة أمام عينيه ؟

لا شيء سوى الروح الأنانية ، والتعصب الأعمى ، والخوف من انكشاف الخطأ ، وتبرئة النفس منه . أن هناك من الناس من يظنون أن في اعترافهم بأخطائهم ، وتسليمهم بها ، هزيمة فادحة لهم ، وكأنهم يخوضون معارك مواجهة ، ولا بد لهم أن ينتصروا فيها ! .

ولكن ، ما الفائدة التي تجنيها حينما تنصر نفسك على الطرف الآخر ، وأنت تعلم ـ في داخلك ـ أنك مخطىء ؟! ألست تخادع عقلك ، وتتعصب لما لا تؤمن به ؟!

وألست تصاب بالتأنيب النفسي ، بينما ظاهرك يبدو وكأنه على ما يرام ؟! وألست تكون ظالماً لمن تتحدث معه ، وأنت على خطأ ؟!

إن التسليم بالأخطاء ـ حين الخطأ ـ هو الطريقة الحكيمة للتعامل مع الآخرين ، وهي تجنب الانسان الكثير من الآثار ، والنتائج التي تترتب على التعصب للأخطاء ، كنشوء حالة الغضب ، والكذب ، والصراع النفسي الداخلي ، وتوتر العلاقات الاجتماعية مع الناس .

* * *

يقال أن واحداً من الكتاب ، استطاع أن يثير شعباً بأسره ، فطالما أثارت عباراته التمرد ، والعناد في نفوس قرائها . غير أن الكاتب مع قلة حظه من المقدرة على معاملة الناس ، استطاع ـ في أحوال كثيرة ـ أن يحول أعداءه إلى أصدقاء !

ومثال ذلك : أن قارئاً ساخطاً كتب إليه مرة يقول : أنني لا أقرّك على ما جاء في أحد مقالاتك ، وأنهى خطابه بأن نعت الكاتب بما لا يحب من الصفات ! فما كان من الكاتب إلا أن أرسل إلى القارىء يقول له : هل لك أن تتفضل بزيارتي لنبحث معاً هذا الموضوع ؟ فأنا نفسي لا أقرّ ما كتبت ، فما كل ما كتبت بالأمس يروق لي اليوم ، وكم يسعدني أن أطلع على آرائك في هذا الموضوع !

* * *

فإذا أردت أن تكسب الناس ، كن حكيماً في أن لا تتعصب لأخطائك ، وسلم بها ، فإن في تسليمك بأخطائك ، راحة لك ، ولمحدثك ، ولا تتصور أنك ستشعر بالحرج . فمن يمتلك الروح الايجابية في الحوار ، لا يصاب بالحرج حينما يسلم بأخطائه ، وحتى لو افترضنا أنه يشعر بقليل من الحرج ، فإنه يفضل ذلك على ما يترتب على التعصب للأخطاء من نتائج غير محمودة .

ابدأ بأخطائك أولا قبل الانتقاد

من الأمور التي يطالب الاسلام ، الانسان بها ، أن يبدأ بطرح أخطائه حينما يخطىء في تعامله مع الآخرين ، أو حينما يريد انتقاد طرف ما لارتكابه خطأ ما . إذ أن الاعتراف بالخطأ أسلوب تربوي حسن للنفس ، بالاضافة إلى أنه يريح المتكلم ، والطرف الآخر ، ويؤدي به إلى تقبل النقد .

أن هناك قسماً من الناس يسيطر عليهم حب الذات ، وحينما يخطئون يبعدون أنفسهم عن ذكر أخطائهم ، وربما تأخذهم العزة بأخطائهم ، فيتصلبون لها ، ولا يبدون أي تنازل ، أو اعتراف بها .

* * *

يقول أحد الكتّاب :

تركت ابنة عمي « ج . ك » بيتها وقدمت لتعمل سكرتيرة لي . وكانت إذ ذاك في التاسعة عشرة من عمرها ، وقد أتمت دراستها قبل ذاك بثلاثة أعوام ، وكانت تجاربها في الحياة تزيد بقليل على العدم ! ولكنها اليوم إحدى السكرتيرات البارعات المحنكات !

وفي ذات يوم أوشكت أن أنتقد مسلكاً لها ، ولكني سكت فجأة ، وقلت لنفسي : لحظة واحدة يا فلان ! لحظة واحدة ! إن سنك ضعف سن « ج . ك » ، ولك من تجاربك في الحياة أضعاف أضعاف ما لها ، فكيف تتوقع أن يكون لها مثل وجهة نظرك ، وحكمك ، ومقدرتك ، مهما كانت هذه متواضعة ؟ . ولحظة يا فلان ! ماذا كنت تعمل ، وأنت في التاسعة عشرة من عمرك ؟ أتذكر الأخطاء الفاضحة ، والحماقات المتكررة التي كنت تأتيها ؟ أتذكر الوقت الذي فعلت فيه كذا وكذا ، وكيت ، وكيت ! .

فلما قلبت الأمر على أوجهه في نزاهة وتجرد ، انتهيت إلى أن « ج . » ، وهي في التاسعة عشرة من عمرها ، أفضل بكثير مما كنت وأنا في مثل سنها ! ولم يكن هذا ـ للأسف ! ـ من قبل إدخال السرور على قلب « ج . » !!

وبعد تلك المرة صرت كلما أردت أن ألفت نظر « ج . » إلى خطأ أتته ابدأ بقولي : لقد أتيت يا « ج . » خطأ ، ولكن الله يعلم أنه ليس شراً من كثير مما أتيت أنا ! فأنت لم تولدي ولك صدق الحكم على الأشياء ، بل يأتي هذا عن طريق التجربة وحدها ، وأنتِ أفضل مما كنت أنا في مثل سنك . إنني أحمل شيئاً كبيراً من الأخطاء السخيفة ، حتى أنه لا تحدوني أقل الرغبة في أن أنتقدك أنت ، وسواك ، ولكن . . . ألا ترين أنه يكون من الأصوب لو فعلت كذا وكذا ؟

* * *

وتعاملنا مع الآخرين يجب أن لا يكون على أساس أننا وهم أجزاء من آلة لا يقع فيها الخطأ ، بل حتى الآلة فإن أجزاءها تخطىء في بعض الأحيان . بل يجب أن نضع في اعتبارنا أن الطبيعة البشرية تصيب ، وتخطىء ، وهي ليست معصومة من الخطأ .

كذلك من الأمور الهامة في التعامل مع الأخطاء أن لا نكبرها ، وأن نعطيها حجمها الطبيعي ، وأن لا نتغافل عنها ، وأن لا نتعود على أخطاء النفس ، وممارسة أخطاء الآخرين . وأن نتعامل مع الأخطاء باعتبارها أمور محتمله الوقوع ، وقابلة للعلاج في نفس الوقت .

فإذا كنت أنت المخطىء بحق الآخرين ، سواء كان في الآراء والأفكار ، أو في مجالات التعامل الأخرى ، ففي هذه الحالة لا بد أن تكون صريحاً مع نفسك ، ومع الآخرين ، لا أن تبرر أخطاءك ، بل لا بد أن نتهم أنفسنا قبل أن نتهم الآخرين ، وأن نبصر عيوبنا قبل أن نبصر عيوب الآخرين ، وأن نعترف بأخطائنا أمام أنفسنا دائماً .

* * *

يقال أن سقراط كان جالساً ـ ذات يوم ـ مع أحد تلاميذه على حافة بركة فيها ماء راكد ، فقال سقراط لتلميذه : ما هذه البركة ؟

قال التلميذ : إنه الماء .

إلا أن سقراط بدأ يستدل له أن ذلك ليس ماء ، وأورد عشرات الأدلة على ما ذهب إليه . واستسلم التلميذ لأستاذه رغم قناعته بعكس ما قال . غير أن سقراط مدّ يده إلى البركة ، واغترف كفاً من الماء ، ثم رماه في البركة ، وقال لتلميذه : هذه الحقيقة أكبر دليل لك على أنه ماء ، وأن ما ذهبت إليه ليس صحيحاً .

* * *

وإذا أخطأ الآخرون ، بحقك فالمطلوب أن تبدأ بأخطائك أولاً قبل أن تنتقدهم .

وفي نقدك لهم يجب أن تكون أخلاقياً ، بحيث يشجعهم النقد على الاعتراف بأخطائهم والاقلاع عنها ، وليس المطلوب أن تهينهم وتجرح مشاعرهم ، وتجعلهم يتعنتون لأخطائهم .

وللتعامل مع أخطاء الآخرين ، هناك ثلاث خطوات :

الأولى : أن لا نتتبع عثراتهم ، وأخطاءهم .

الثانية : أن نحملها على الخير ، لا الشر .

الثالثة : أن لا نجرح كبرياءهم إذا ارتكبوا خطأ .

وقد يتساءل السائل : هل المطلوب ـ إذن ـ أن نسكت عن أخطاء الناس ، أو أن نبررها ؟ .

والجواب :

ان الأخطاء على قسمين :

١ / صغيرة ، وهذه قد لا تستحق الذكر ويمكن تحملها .

٢ / كبيرة . وهذه تبين بشكل أخلاقي وفنيّ .

بل أن الإسلام الحنيف فيما يرتبط بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والذي من ضمنه توجيه الآخرين إلى الاقلاع عن أخطائهم ، وضع مسألة احتمال التأثير ، فإذا كان هذا الاحتمال ضئيلاً ، لا يجب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

إذن :

في تعاملك مع الأخطاء ، ابدأ بأخطائك قبل أن تبين أخطاء الآخرين ، وإذا ما كانوا هم المخطئين ، فاجعل نقدك مشجعاً لهم على تلافي أخطائهم .

كيف تتعامل حينما يخطىء الآخرون ؟

من الأساليب التي تبعث روح اليأس في الناس ، وعدم الاندفاع والتقدم ، تبيان أخطائهم بشكل هجومي ، أو بشكل مباشر ، وتفخيم ، وتضخيم غلطاتهم ، واعتبارها كبيرة ، أو عسرة التصحيح ، ولنضرب لذلك مثالاً من الواقع :

نجار يعمل في ورشة له ، وله مساعد جاء يتدرب على يديه . يكلف النجّار مساعده بصناعة منضدة ، فيقوم الأخير بإنجازها . ويصادف أن تكون المنضدة ضعيفة غير متماسكة . فيأتي النجار لمساعده ، ويقول له : إنك لا تفقه شيئاً في فن النجارة ، ويجدر بك أن لا تكون نجاراً .

ان أسلوب النجار هذا قد لا يعمل على عدم إصلاح خطأ المساعد فحسب ، بل قد يعمل على إحداث حالة يأس من التقدم في فن النجارة ، والاستمرار فيها ، وربما ترك النجارة إلى غير رجعة إليها . بينما لو استخدم أسلوباً آخر ، وقال لمساعده : انني في بداية اشتغالي بالنجارة لم أكن أوفر حظاً مما أنت عليه الآن ، وأن لك مستقبلاً جيداً في فن النجارة ، إلا أن المنضدة التي صنعتها ، كان حرياً بك أن تجعلها أكثر قوة ومتانة ، وإني لا أشك في أن

مستواك في فن النجارة سيشهد تطوراً ملموساً في المستقبل .

وهكذا الحال بالنسبة للتعامل مع الناس ، إذ يجب أن لا نجعل من غلطاتهم أموراً لا تقبل التصحيح ، بل من الجيد أن نجعلها تبدو ميسورة التصحيح ، سهلة . فإذا أخطأ شخص منا بأن قال كلمة غير لائقة ، فمن الخطأ أن نقيم الدنيا ولا نقعدها ، بل من الأجدر أن نقابله بهذا الأسلوب ، ونقول له :

المعروف عنك أنك إنسان تعرف كيف تتعامل مع الناس بشكل جيد ، وليس من عادتك أن تتلفظ كلمات غير لائقة بحقهم .

وحتى في مجال التعامل مع الأعمال ، فإظهارها بأنها صعبة ، ومستعصية قد تبعث في متحملها إحساساً بعدم القدرة على القيام بها ، بينما جعلها تبدو سهلة ، وهينة ، وسيلة جيدة لأن يتحملها من هو مكلف بالقيام بها بشكل جيد .

فإذا أردت تنبيه الآخرين إلى أخطائهم دون أن تريق ماء وجوههم ، كن حكيماً في أن تجعل أخطاءهم سهلة التصحيح ، ولا تفخمها ، واجعل الأعمال التي تريدهم أن يقوموا بها ، سهلة ، هينة .

احترم اراء الآخرين ولا تقل لأحد أنه مخطئ

يقول الإمام علي (ع) :

« من أبصر زلّته صغرت عنده زلّة غيره »[1] .

من الأمور الجيدة في صناعة ، وتنمية العلاقات الاجتماعية مع الناس ، احترام آرائهم ، ووجهات نظرهم ، حتى لو كانت تختلف مع وجهات نظرنا . واحترام آراء الآخرين ، فضلاً عن أنها أسلوب جيد للتعامل مع الناس ، فهي مفتاح للمدخول إلى قلوبهم ، ومن ثم كسبهم ، والتأثير فيهم .

أما إذا قوبل الطرف الآخر بعدم الاحترام لآرائه ، ووجهة نظره ، فإنه يشعر بالإهانة ، وربما بانخداش المشاعر ، وقد تأخذه العزة بأفكاره ، حتى ولو كانت خاطئة ، ويتعصب ، وربما يجادل دفاعاً عن أفكاره ، وبالتالي قد تتأثر العلاقة الاجتماعية معه سلبياً .

فإذا أردت ، أو قدّر لك أن تتحاور مع إنسان ، أو تتناقش معه ، وكان مخطئاً ، فمن الأفضل أن لا تقول له : أن أفكاره خاطئة ، بشكل سافر ، أو أن

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

الحقيقة هي عكس ما تقول تماماً ، وخصوصاً في تلك المناقشات والحوارات التي لا يكون للخطأ فيها آثاراً خطيرة . بل من المفضل أن تبدأ بالقول له : مع احترامي ، وتقديري المخلصين لك ، ولأفكارك ، ووجهات نظرك . . ومن الجيد أن تذكر نقاط الايجاب في أفكاره ، لأنها تفتح قلبه إليك ، ثم بعد ذلك توضح أفكارك له بشكل هادىء ، مفعم بالإخلاص والاحترام ، وستجده أنه بدأ يقترب إلى أفكارك ، ومن ثم يتأثر بها . وحتى لو لم يتأثر بأفكارك ، ويأخذ بها ، فعلى أقل التقادير سيضع في نفسه أنك احترمته ، وقدّرت أفكاره ، وآراءه ، وبالتالي فلن يعاملك إلّا بالتقدير ، والاحترام .

إن هناك قسماً من الناس ، إذا طُرحت عليهم أفكاراً ، ووجهات نظر من آخرين ، فإنهم يفنّدونها ، ويستخدمون مثل هذه العبارات القاطعة : « الحقيقة عكس ما تقول » ، أو « كلامك لا يمت إلى الصواب بصلة » ، أو « الحقيقة خلاف ذلك » ، وما شابه ذلك من العبارات الجدية ، ولو أنهم تروّوا ، وقدروا أفكار الآخرين ، وأشاروا إلى الأخطاء من طرف خفي ، أو بطريقة فنية غير مباشرة ، لكان أجدى لهم ، وأفضل ، وللآخرين أيضاً .

وقد يقول القائل : وما الداعي إلى اللف ، والدوران مع الناس ؟

وللاجابة على ذلك :

أن الناس متفاوتون في تقبل نقد الآراء ، وتقبل تبيان الأخطاء ، لأنهم ـ بالنتيجة ـ مشاعر ، وأحاسيس متفاوتة ، فمنهم من يعترف بالخطأ ، ويتقبل النقد برحابة صدر ، ومنهم من يتقبله بقدر معين ، وبحدود معينة ، ومنهم من لا يتقبله ، فيكون مسرحاً للتأثر السلبي بسببه .

وفي الحقيقة أن استخدام الأساليب الفنية غير المباشرة في تبيين أخطاء الآخرين ، أو انتقادهم ليس لفّاً ودوراناً ، بل هو مراعاة لمشاعرهم ،

وأحاسيسهم ، وعواطفهم .

وإذا كان لزاماً عليك أن تنتقد طرفاً ما ، حاول أن تبين له أخطاءه من طرف خفي ، وبشكل فني ، لا بصورة مباشرة ، خاصة إذا كان رقيق المشاعر ، ولا تفرض معدنك عليه فيما إذا كنت قوي التحمل للنقد ، وبذلك تحقق أمرين :

١ ـ تبيان الحقيقة للطرف الآخر ، وخطأ ما يعتقد ، أو يقول .

٢ ـ تجنيب علاقتك معه ، التوتر ، والبغضاء المحتملة .

فإذا أردت أن تكسب الآخرين إلى وجهة نظرك ، كن حكيماً في أن تحترم أفكارهم وتبين أخطاءهم ـ إذا كان لازماً ـ من طرف خفي ، وبطريقة فنية محببة .

كيف تتعامل مع الأصدقاء ؟

كلمة في البدء

« رُبَّ أخٍ لكَ لمْ تلِدْهُ أمُّكَ »[1] .

فيما يرتبط بالتعامل مع الناس ـ بشكل عام ـ ، وفيما يرتبط بالمصادقة ـ بشكل خاص ـ باعتبار أن المصادقة وجه واسع من أوجه التعامل مع الناس ، هناك ـ إن صح التعبير ـ :

ـ الصداقة العامة .

ـ والصداقة الخاصة .

والصداقة العامة يقصد بها صداقة الانسان مع كل من هو أهل للمصادقة من بني البشر ، باعتبار أنه بشر مثلهم ، ويشترك معهم في الأب والأم ، وفي الخلقة والهيئة ، وفي عمارة الأرض . أما الصداقة الخاصة فهي تتمثل في أمرين :

الأول : الاخوة أو الصداقة في الدين .

الثاني : الصداقة الحميمة .

(١) ميزان الحكمة ، ج ١ ، ص ٤٢ .

والأخوة في الدين تعني أن كل أخ لك في الدين ، هو شريك لك في المعتقدات ، والأهداف ، وبالتالي فهو صديق لك حتى لو لم تكن صداقتك معه حميمة ، إذ لا قرابة ولا صداقة كقرابة وصداقة الدين ﴿ **إنما المؤمنون أخوة** ﴾ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أنه ليس بإمكان الانسان أن يجعل كل أخٍ له في الدين ـ على انفراد ـ صديقا حميما له ، وإنما يمكنه أن يكون صديقا حميما لهم بشكل عام . ومن هنا كانت الصداقات الحميمة أمرا واقعا في الحياة .

انك لتجد إنسانا يتعامل مع عموم الناس بشكل حسن ، فيحبهم ويحبونه ، ويحترمهم ويحترمونه ، ويقدرهم ويقدرونه ، فهو صديق لهم . وفي الطرف المقابل تجد أن له أصدقاء مقربين ، أو بتعبير آخر : حميمين ، وهؤلاء الأصدقاء هم أقرب الناس إلى قلب ذلك الانسان ، وأكثر التصاقا به ، وهو أقرب الناس وأكثرهم التصاقاً بأولئك الأصدقاء .

وفي تصنيفه للإخوان والأصدقاء يقول الإمام علي (ع) :

« الإخوان صنفان :

إخوان الثقة

وإخوان المكاشرة .

فإخوان الثقة ، كالكف ، والجناح ، والأهل ، والمال . فإذا كنت في أخيك على ثقة ، فابذل له مالك ، ويدك ، وصاف من صافاه ، وعاد من عاداه ، واكتم سرّه ، وأظهر منه الحسن ، واعلم أنهم أقل من الكبريت الأحمر(*) .

(*) يعني أنهم أقلاء أو نادرون كقلة أو ندرة الكبريت الأحمر .

وأما اخوان المكاشرة * ، فإنك تصيب منهم لذتك ، ولا تقطعن ذلك منهم ، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم ، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه ، وحلاوة اللسان »[1] .

والتعامل مع الأصدقاء ، هو جزء من التعامل مع الناس عموماً ، وعليه فإن القواعد والوصايا المزبورة في الفصل السابق ، تنطبق على الأصدقاء كما تنطبق على عموم الناس ، وإن كان قسم منها يختص بعموم الناس باستثناء الأصدقاء .

(*) المضاحكة .

(١) مصادقة الاخوان .

عظمة الصداقة

والصداقة من الصدق والتصديق ، وهي أمر عظيم في الاسلام والحياة . وعظمت منزلة الصداقة حتى أن أهل النار يستغيثون بالأصدقاء ، ويدعون بهم قبل الأقرباء الحميمين ، ولكن الله تعالى يقول عنهم :

﴿ فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم ﴾[1] .

ويقول سبحانه :

﴿ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلّا المتقين ﴾[2] .

(١) سورة الشعراء ، آية : ١٠٠ ـ ١٠١ .

(٢) سورة الزخرف ، آية : ٦٧ .

الصداقة صناعة

ـ والصداقة كالبناء ، أرأيت البنّاء كيف يصنع البيت ويبنيه؟

انه يجعل له أساساً قوياً ، وأعمدة متينة ، ثم يصفّ الحجر ، لاحماً إياه بالاسمنت ، ويصنع السقف ، ويثبت الأبواب والشبابيك ، ويقوم بالتشطيبات النهائية للحوائط والأرضيات حتى يكتمل البيت ويصنع .

وهكذا الحال بالنسبة للصداقة ، فهي صناعة كالبيت ، وبالتالي فهي لا تحدث من فراغ ، ولا فجأة ، ولا صدفة ، وإن كانت الصدفة تساعد في بعض الأحيان على اغتنام فرصة المصادقة .

وحيث أن الصداقة صناعة ، وبناء فهي تحتاج إلى أرضية ، وأرضيتها : الحب في الله ، والإلفة ، والأخلاق الفاضلة ، والتواضع ، والارادة ، والحلم ، وضبط النفس ، والوجدان الداخلي السليم .

الصداقة ضرورة دينية وحياتية

وكما أن الصلاة من ضرورات الدين ، كذلك الصداقة فهي ضرورة من ضروراته لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يخلق الانسان ليبقى وحيداً منعزلاً عن إخوانه في الدين ، وعن نظرائه من بني البشر . وكما الماء ضرورة من ضرورات الحياة ، إذ لا غنى للانسان عنه في أي فصل من فصول السنة ، كذلك الصداقة هي ضرورة حياتية في زمن الصراع والحرب ، وفي زمن الصلح والسلام . فكما أنه مطلوب منا أن نصادق في زمن الصلح والسلام ، كذلك مطلوب منّا أن نصادق في زمن الصراع والحرب ، لأن الصديق حاجة ماسة في كل الظروف ، ولأن الصداقة تستثمر المبادىء ، وتغذي الأخلاق .

* * *

اختر أصدقاءك

ولمّا كانت الصداقة شيئاً عظيماً في الحياة ، وضرورة من ضرورات الدين ، فالمطلوب إعطاء أهمية كبيرة لاختيار الأصدقاء ، إذ ليس من الحكمة والعقل في شيء أن نجعل اختيارنا لهم لمحض الصدفة ، ونختار ما هبّ ودبّ من الأصدقاء وبلا حساب . وليس من الحكمة أيضاً أن يعمد الواحد منّا إلى الوحدة ، وعدم اتخاذ الأصدقاء ، لأن السعادة الحقيقة لا تكمن في الوحدة والعزلة ، وإنما تكمن في أن يتخذ أصدقاء له ، فالمرء كثير بإخوانه ـ كما تقول الأحاديث الشريفة ـ ، والإخوان هم وسائط وأيادي وسلالم للمجد والنجاح .

* * *

يروي أحد الشباب قصته فيقول :

أرسلني والدي للدراسة الجامعية في إحدى البلدان ، وكنت محافظاً . وفي ذلك البلد تعرّفت على مجموعة من الطلاب من نفس بلدي ، وكانوا بعيدين عن الدين وقيمه ، إذ كانوا يشربون الخمور ، ويمارسون الفحشاء . وفي يوم من الأيام دعوني للذهاب معهم إلى أحد النوادي الليلية ، فذهبت معهم ، وفي ليلة أخرى دعوني إلى حفل فذهبت ، وطلبوا مني أن أشرب الخمر

فشربت ، وبعد فترة من الزمن أصبحت كواحدٍ منهم ، وهكـذا كانت نتيجـة مصادقتي لقرناء السوء ، وإهمالي لموضوع اختيار الأصدقاء .

* * *

وحيث أن اختيار الأصدقاء على درجة كبيرة من الأهمية ، فهذا الأمر يدعو إلى التمييز بين من هم خليقون بالمصادقة ، ومن هم ليسوا كذلك .

فمن هم الجديرون بالمصادقة ؟

ومن هم غير الجديرين بها ، ومن لا تصح معهم ؟

الجديرون بالمصادقة

هل حدث لك أن وقعت نظراتك على طير قُدّم له الحب ؟

الكل منا قد شاهد الطيور ـ ومنها الحمام ـ كيف تختار الحب الجيد وتترك الرديء ، وتلتقط الأول وتترك الآخر . وهكذا يجب أن يكون الانسان في اختياره للأصدقاء الجديرين بالصداقة ، وترك من هم ليسوا كذلك ؟

وقد تسأل :

إذا كان بنو البشر هم شركاء في الخلقة ، فما الداعي للتمييز في المصادقة بين الحسن والسيء ؟ وما الحكمة في ذلك ؟ وهل من الصحيح أن نصادق هذا ونترك ذاك ؟

والحقيقة أن اختيار الأصدقاء الصالحين يبنى على أمور ثلاثة :

١ ـ أن الأصدقاء الصالحين يشكلون البيئة الصالحة للتعامل في الحياة ، ولخدمة المبادىء والقيم ، والسيؤون ليسوا كذلك .

٢ ـ إن تلافي مصادقة غير الخليقين يشكل ضغطاً عليهم لكي يتركوا السوء والرذيلة ، ويعودوا الى الصلاح والفضيلة .

٣ ـ أن قضية المصادقة ليست مجرد لقاء إجتماعي ، بل هي قضية تأثير وتأثّر ، وما من شك أن مصادقة أهل الفضيلة هو تكريس للفضيلة نفسها ، ومصادقة أهل الرذيلة تشجيع لنمو الرذيلة في الاجتماع ، وبالنتيجة سوى المصير في الدار الآخرة .

يقول تعالى :

﴿ ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ﴾[1] .

والجديرون بالمصادقة هم :

١ ـ العلماء .

٢ ـ العقلاء .

٣ ـ الحكماء .

٤ ـ المتدينون .

٥ ـ المتّقون .

٦ ـ الزاهدون .

٧ ـ الحلماء .

٨ ـ الخيرون .

٩ ـ الفضلاء .

١٠ ـ الأخلاقيون .

١١ ـ الصادقون .

---

(١) سورة الفرقان ، آية : ٢٨ .

١٢ ـ الأوفياء .

١٣ ـ الصالحون .

١٤ ـ أهل الحق والصواب .

١٥ ـ المصلّون .

١٦ ـ الأزكياء .

١٧ ـ من إذا صحبته زانك .

١٨ ـ من إذا خدمته صانك .

١٩ ـ من إذا قلت حقاً صدق قولك .

٢٠ ـ من إذا صلت شدّ صولك .

٢١ ـ من إذا مددت يدك بفضل مدّها

٢٢ ـ من إذا بدت عنك ثلمة سدّها .

٢٣ ـ من إذا رأى منك حسنة عدّها .

٢٤ ـ من إذا سألته أعطاك .

٢٥ ـ من إذا سكتّ عنه ابتداك .

٢٦ ـ من إذا نزلت إحدى الملمّات به ساءك ذلك .

٢٧ ـ من كثر وفاقه .

٢٨ ـ من قلّ شقاقه .

٢٩ ـ الداعون إلى الدار الآخرة .

٣٠ ـ من يرغب فيك وإليك .

من لا تصح أو لا تجدر مصادقتهم

وهم :

١ ـ الحمقى .

٢ ـ الجهلاء .

٣ ـ الفجار .

٤ ـ الفاسقون .

٥ ـ المجاهرون بمعاصي الله .

٦ ـ الكذابون .

٧ ـ السفهاء .

٨ ـ قرناء السوء .

٩ ـ الأشرار .

١٠ ـ أصحاب الدنيا .

١١ ـ من لا تنتفع بدينه ودنياه .

١٢ ـ من إذا حدثته ملّك .

١٣ ـ من إذا حدثك غمّك .

١٤ ـ من إذا فارقته ساءك مغيبه بذكر سوأتك .

١٥ ـ من إذا مانعته تهتّك وافترى .

١٦ ـ من إذا وافقته حسدك واعتدى .

١٧ ـ من إذا خالفته مقتك وماری .

١٨ ـ من يعجز عن مكافأة من أحسن إليه .

١٩ ـ من يفرّط على من بغى عليه .

٢٠ ـ من يتعلم للمراء .

٢١ ـ من يتفقه للرياء .

٢٢ ـ من يبادر الدنيا ويواكل التقوى .

٢٣ ـ من يتناول أعراض الناس .

٢٤ ـ من يغيّر رأيه ، وينكر عمله .

٢٥ ـ الخائنون .

٢٦ ـ الظالمون .

٢٧ ـ النمّامون .

٢٨ ـ من لا يرى لك مثل الذي لا يرى لنفسه .

٢٩ ـ من يبغضه القلب .

٣٠ ـ متتبعو عيوب الناس .

٣١ ـ الهمّازون واللمّازون .

٣٢ ـ خبثاء النفوس .

٣٣ ـ ضعفاء الخير .

٣٤ ـ أقوياء الشر .

٣٥ ـ السفلة .

٣٦ ـ المُلهون .

٣٧ ـ المغرون .

٣٨ ـ القاطعون لأرحامهم .

٣٩ ـ المائقون (الغضبون وشديدو الغيظ) .

٤٠ ـ سيئو الأخلاق .

٤١ ـ الأعداء .

٤٢ ـ أعداء الأصدقاء .

٤٣ ـ أصدقاء الأعداء .

٤٤ ـ العوام .

وحقيقةٌ أن هناك نوعيات من الناس لا تجدر مصادقتهم ، لا تعني أن ينعزل المرء عن الاجتماع ، أو أن يتنصل عن مسؤوليته في عملية التغيير الاجتماعي ، فهناك خط فاصل دقيق يجب أن يدرك ، بين الابتعاد عن غير الجديرين بالمصادقة باعتبار أنهم قد يتركون تأثيرهم السيء على أصدقائهم ، وبين مسؤولية الانسان في تغييرهم إلى الأفضل ، ونقلهم من مستنقع الرذيلة إلى

جنة الفضيلة .

إن بإمكانك أن تتعامل مع شخص شرير لا بعنوان أن تتخذه صديقاً فيؤثر عليك سلبياً في المستقبل ، وإنما من أجل إصلاحه وتغييره إلى الأفضل . أما الاعتزال عن الفاسقين أو الفرار منهم ، فيلجأ إليه حينما يفقد الأمل في هدايتهم ، أو حينما يشكلون خطراً على الأخيار . ومثال ذلك أصحاب الكهف الذين رأوا أنفسهم بين ظهراني قوم أصرّوا على الشرك والكفر ، ولم تنفع معهم سبل الارشاد والهداية ، فلجأوا إلى الاعتزال عنهم في الكهف .

يقول تعالى في هذا المعنى :

﴿ هؤلاء قومنا قد اتخذوا من دونه آلهة ، لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن . فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً . وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون ، إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً ﴾[1] .

(١) سورة الكهف ، آية : ١٥ ـ ١٦ .

اختبر أصدقاءك

وبعد اختيار الأصدقاء تأتي مرحلة اختبارهم .

وقد تسأل :

لماذا اختبار الأصدقاء ؟

وكيف ؟

إنّ الحكمة في اختبار الاصدقاء تنبع من أمور :

١ ـ ان الزمن الذي نعيش فيه زمان جور ، وإذا كان الزمن كذلك فسلاح الانسان في حفظ صداقاته هو الحذر ، والتوسط في إعطاء الثقة . ويكون هذا الأمر أكثر أهمية حينما تكون الصداقة متعلقة بأمور خطيرة ، وأسرار جماعية .

٢ ـ قد يخطىء الانسان في اختياره للأصدقاء ، وفي اختباره لهم يتعرف على حقيقتهم ، ويتبين له ما كان يجهله فيهم ، وبالاختبار يمكن له إصلاح الثلمات فيهم ، أو الابتعاد عنهم إذا دعت الحاجة والموقف لذلك .

٣ ـ يكون الاختبار ضرورياً فيما إذا طرأت متغيرات معينة في الصداقة ، ويكون الاختبار هو الكاشف لتلك المتغيرات . ومثال ذلك أن يصادق انسان ،

آخر أمين على الأسرار ، فتحدث لهذا الأخير متغيرات تجعله يفقد صفة الأمانة ، أو تجعله يُشك في أمانته ، فيكون الاختبار هو المقياس آنئذ .

أما عن كيفية اختبار الأصدقاء ، فما يجب التأكيد عليه أن الاختبار يجب أن يكون إنسانياً وغير مهين لهم . أن قسماً من الناس يختبرون أصدقاءهم بشكل مهين أو مؤذٍ ، وحينما يراجعونهم أصدقاءهم يردون : ان الذي كان منا لم يكن سوى مجرد اختبار ! .

واختبارات الأصدقاء كثيرة منها ما يلي :

١ ـ اختبار الميل النفسي والروحي (حب التقرب) .

٢ ـ الاختبار عند الحاجة (العطاء في عموم الحاجات) .

٣ ـ اختبار المواساة بالمال ، والدرهم والدينار .

٤ ـ الاختبار في الضراء والشدائد والنكبات .

٥ ـ اختبار الحلم والغضب .

٦ ـ اختبار السفر .

٧ ـ اختبار الأصدقاء باخدانهم ، أي باصحابهم (*) .

٨ ـ اختبار الأمانة ، كالائتمان على مال .

٩ ـ الاختبار في الغيبة (حفظ الصديق في غيبته) .

١٠ ـ اختبار التقوى .

١١ ـ اختبار الإخلاص في الصداقة .

(*) كما تقول الحكمة الشهيرة : قل لي من تصادق أقل لك من أنت . فاختبارك صديقك باختبار صديقه أو صاحبه يعينك على معرفة صديقك .

١٢ ـ اختبار الصدق .

١٣ ـ اختبار الامانة .

١٤ ـ اختبار تحصين الأسرار .

١٥ ـ اختبار الاهتمام بالعبادات .

١٦ ـ اختبار الصفات النفسية كالارادة ، وسعة الصدر ، والمزاج ، و . . . .

١٧ ـ اختبار الأخلاق عموماً .

١٨ ـ اختبار حسن العشرة والمعاملة .

حقوق الأصدقاء

من طبيعة الحياة أنها قائمة على الحقوق . فالنبتة التي تزرعها ، حقها عليك أن تسقيها وتتعهدها . والطير الذي تضعه في بيتك ، حقه عليك أن تطعمه الحب ، وتسقيه الماء وترعاه . والقطة التي في منزلك ، حقها عليك أن تطعمها وتعاملها بالرفق ، والأمور كلها على هذا .

والناس الذين هم إما إخوان لك في الدين ، أو نظراء لك في الخلق ، لهم حقوق عليك ، منها أن تحترمهم ، وتقدرهم ، وتظهر اهتمامك المخلص لهم ، وتلقاهم بوجه طلق ، وتقضي حوائجهم ، وتتعامل بالرفق واللين والرحمة معهم ، وتتواضع لهم ، ولا تريق ماء وجوههم ، وتقدر أفكارهم ووجهات نظرهم ، وتعطف على رغباتهم الخيّرة ، وتخالطهم وتعاشرهم بإحسان ، ولا تحرجهم ، و . . . .

ومن الناس ، الأصدقاء ، فكما أن لعموم الناس عليك حقوقاً ، فإن للأصدقاء عليك حقوقاً أيضاً ، ويشترك الأصدقاء مع عموم الناس في كثير من الحقوق ، إلّا أن للأصدقاء حقوق متميزة .

وإعطاء الحقوق للأصدقاء يمثل جانباً واسعاً وكبيراً من التعامل معهم ،

لأن إعطاء الحقوق من العدالة ، التي هي إعطاء كل ذي حق حقه ، ووضع الشيء في موضعه .

فلكي تحسن التعامل مع أصدقائك ، يلزم لك أن تحسن إعطاءهم حقوقهم . وحقوق الأصدقاء على ثلاثة أنواع كما يتبين من خلال استقراء الأحاديث الشريفة :

١ ـ حقوق نفسية .

٢ ـ حقوق معنوية .

٣ ـ حقوق مادية .

ومن حيث الأولية والتفصيل هناك ـ إن صح التعبير ـ حقوق رئيسة ، وأخرى تفصيلية .

الحقوق الرئيسة :

١ ـ الحفظ في الغيبة .

٢ ـ الحفظ في النكبة .

٣ ـ الاجلال في العين .

٤ ـ الودّ في الصدر .

٥ ـ المواساة في المال .

٦ ـ العيادة في المرض .

٧ ـ تشييع الجنازة .

٨ ـ الحفظ بعد الوفاة .

الحقوق التفصيلية :

١ ـ غفران الخطأ والزلة

٢ ـ رحمة العبرة .

٣ ـ ستر العورة .

٤ ـ قبول العثرة .

٥ ـ رد الغيبة .

٦ ـ قبول المعذرة .

٧ ـ إدامة النصيحة .

٨ ـ حفظ الخلّة .

٩ ـ رعاية الدعوة .

١٠ ـ شهود الميتة .

١١ ـ إجابة الدعوة .

١٢ ـ قبول الهدية .

١٣ ـ مكافأة الصلة .

١٤ ـ شكر النعمة .

١٥ ـ حسن النصرة .

١٦ ـ حفظ الحليلة (الزوجة) .

١٧ ـ قضاء الحاجة .

١٨ ـ استنجاح المسألة .

١٩ ـ تسميت العطسة .

٢٠ ـ ارشاد الضالة .

٢١ ـ رد السلام .

٢٢ ـ تطييب الكلام .

٢٣ ـ موالاة الولي والصديق .

٢٤ ـ نصرة الصديق ظالماً(*) أو مظلوماً .

٢٥ ـ عدم التسليم والخذلان .

٢٦ ـ حب الخير للصديق كما للنفس .

٢٧ ـ كره الشر له كما للنفس .

٢٨ ـ التفضّل .

٢٩ ـ الانصاف .

٣٠ ـ الإكرام .

حدود الصداقة

كما أن الحديقة لا بد لها من سياج يحميها ، وحدود تحدّها لكي تتم المحافظة عليها ، واستمرارها ، وجني ثمارها . كذلك الصداقة ، لا بد لها من حدود تحافظ عليها ، وتحميها ، وتصون ماهيتها ، وحدودها هي القواعد الآتية :

(*) نصرة الصديق ظالماً بردّه عن ظلمه .

١ ـ كون سريرة الصديق وعلانيته واحدة (نبع الصداقة من القلب) .

٢ ـ أن يرى الصديق زينه زين صديقه ، وشينه شينه .

٣ ـ أن لا يغيّر الصديق على صديقه مال أو ولد .

٤ ـ أن لا يمسك شيئاً ـ عن صديقه ـ مما تصل إليه مقدرته .

٥ ـ أن لا يسلمه عند النكبات .

٦ ـ الحفظ في الغيبة .

٧ ـ الحفظ في الوفاة .

٨ ـ النصح في العيب .

٩ ـ الايثار على النفس .

١٠ ـ النهي عن الظلم والعدوان .

١١ ـ الاعانة على البرّ والاحسان .

١٢ ـ التصديق في نفس الصديق ومعايبه .

١٣ ـ الوقاية بالنفس .

أجواء الصداقة

كما أن الانسان لا يستطيع العيش إلّا في جوّ يحتوي على كمية كافية من الغذاء والأوكسيجين ، كذلك الصداقة ، فهي لا تنمو ولا تبقى إلا في ظل أجواء خاصة بها . وكما أن البذرة لا تنفتق ، ولا تنمو ، ولا تثمر إلا حينما نوفر لها التربة الصالحة ، والكمية الكافية من الماء والنور والهواء ، كذلك الصداقة ، فهي لا تستمر ، ولا تزدهر إلّا في الأجواء الصالحة الخاصة بها .

وأجواء الصداقة هي :

١ ـ الثقة المتبادلة بين الأصدقاء (حسن الظن المعتدل) .

٢ ـ الورع .

٣ ـ استخدام الحلم .

٤ ـ استعمال الرفق واللين .

٥ ـ الكرم .

٦ ـ ترك الاستقصاء والانتقاد .

٧ ـ ترك المناقشة السلبية .

٨ ـ القبول بالصديق كما هو (تجنب الخيالية في المصادقة) .

آداب الصداقة :

ليس من الصحيح أن يقال : بين الأحباب تسقط الآداب . لأن الآداب إذا سقطت ، سقط الحياء ، ومتى ما سقط الحياء انجرّ الانسان إلى ممارسة ما لا يحل ولا يجمل ، لأنه إذا لم يستح ، يفعل ما يشاء . والصحيح هو أن تسقط الكلفة والتكلف بين الأصدقاء ، فحيث أن القلوب متآلفة ومنسجمة ومتحابة مع بعضها ، فليس للكلفة مكاناً .

وكما أن للمسجد قدسية ، وله آداب ، فكذلك الصداقة مقدسة ولها آداب . وكما أننا نلتزم الآداب حينما نرتاد الحدائق والمنتزهات ، كذلك فإن للصداقة آدابها التي يخلق بنا أن نلتزمها ، وهي كالتالي :

١ ـ الاستئذان للدخول على الصديق .

٢ ـ السلام قبل الكلام .

٣ ـ الاحترام في المجلس وقت الدخول .

٤ ـ التوسيع في المجلس .

٥ ـ ذكر كنية الصديق في الحضور ، والاسم في الغياب .

٦ ـ التزام آداب الجلوس .

٧ ـ تسميت العطسة .

٨ ـ ترك المزاح المهين .

٩ ـ المضاحكة والدعابة .

١٠ ـ ترك التناجي أمام الآخرين .

١١ ـ الزيارة في الحضر .

١٢ ـ المكاتبة حين السفر .

١٣ ـ الاهداء .

١٤ ـ المصافحة والمعانقة .

١٥ ـ تقبيل موضع النور من الجبهة .

١٦ ـ اطعام الطعام .

١٧ ـ الدعاء للأصدقاء .

١٨ ـ إخبار الصديق صديقه بحبه له .

١٩ ـ المبادلة بين الأصدقاء .

٢٠ ـ إدخال السرور إلى قلوب الأصدقاء .

٢١ ـ التحدث فيما يهم الأصدقاء .

٢٢ ـ كتمان أسرار الأصدقاء .

٢٣ ـ حفظ أسماء الأصدقاء .

٢٤ ـ الوفاء بالوعد مع الأصدقاء .

٢٥ ـ التزين للأصدقاء .

٢٦ ـ التعرف على أمكنة الأصدقاء ، وعوائلهم .

خمس قواعد هامة في الصداقة والتعامل مع الأصدقاء

القاعدة الأولى : الاعتدال العاطفي

في الصداقة ، هل من الصحيح أن يكون الحب مفرطاً ؟

وفي الخصومة هل من الصواب أن يكون البغض زائداً عن حدّ الاعتدال ؟

بلا ترديد أن الاعتدال في الأمور هو الأسلوب الأفضل ، وكما تقول الحكمة الشهيرة : « خير الأمور أوسطها » . ومن الأمور العامة في الحياة حبّ الأصدقاء ودهم ، والذي يجب أن يكون عميقاً وصميماً ، وغير مفرط في نفس الوقت .

وتسأل :

إذا كانت الصداقة قائمة على الحب ، والميل العاطفي ، فما الحكمة في أن هذا الحب ، وهذه العاطفة يجب أن يكونا خارجين عن حدّ الاعتدال والتوازن ؟

وتكون الاجابة كالتالي :

١ ـ مع وجود الصداقة ، يحتمل أن يكون هناك تباغض أو افتراق . فإذا ما

أفرط المرء في حب صديقه ، فقد يحدث أن ينفصل هذا الأخير عن الأول ، وبالتالي ينصدم الأول بشيء لم يتوقعه . أما إذا اعتدل الصديق في حبّه لصديقه ، فإنه بذلك يضع في حسابه أن صديقه ـ ولسبب ما ـ قد يبغضه .

٢ ـ الأمر الآخر أن الحب المفرط قد يتحول إلى حب أعمى ، وإذا ما تحول إلى ذلك فإن الصديق يتعامل مع صديقه وكأنه قدّيس ، فلا ينصحه ، ولا يبين له أخطاءه ، وهذا خلاف الصداقة الحقيقية .

٣ ـ ان الاعتدال في الحب ، والتوازن العاطفي يجعل الانسان معتدلاً في بغضه أيضاً ، الأمر الذي يساعد على تخصيص مساحة احتياطية من الحب تجاه البغيض ، من أجل أن تعود المياه إلى مجاريها ، واستمرار الصداقة في يوم من الأيام .

وفي هذه المعاني يقول الإمام علي (ع) :

« أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما »[1] .

القاعدة الثانية : اغتنام فرصة اقبال الناس :

إنك لتعلم أن لأكثر الطيور مواسم تقبل فيها ، فعلى سبيل المثال : قد تغيب البلابل عن منطقة ما في فصل الشتاء ، ولكنها مع إطلالة الربيع تبدأ بالخروج أو الاقبال ، فتملأ الأجواء تغريداً وألحاناً .

ومع إدراك هذه الحقيقة ، فما الذي يفعله الصيادون من أجل الصيد ؟

إنهم ينتهزون فرصة موسم الطيور وإقبالها ، فيتناولون أفخاخهم ، وحبائلهم ، ويتوجهون شطر الأماكن الخصبة للصيد ، فيكون صيدهم سميناً .

---

(١) نهج البلاغة ، ص ٥٢٢ .

وهكذا الحال بالنسبة للناس فهم يشبهون الطيور ـ إلى حدّ ما ـ في إقبالهم وإدبارهم . فإذا ما أقبل عليك إنسان أهل للمصادقة ، فالجدير بك أن تغتنم فرصة إقباله عليك ، دون أن تتردد في ذلك ، فتصطاده كما يصطاد الصياد ظبياً لائحاً مقبلاً . وحال إقبال الناس عليك ضع في اعتبارك أن الشيطان قد يأتي إليك ، ويهمس في أذنك قائلاً : أنك لست بحاجة إلى أصدقاء ، فأنت غنيّ عنهم ، فاحذر كيد الشيطان . أو قد تقول في نفسك : أن الناس يقبلون عليّ ، ويرغبون في مصادقتي ، ولكني لا أرغب في مصادقتهم ، وهذا خلاف المبادىء الحقيقية للصداقة التي تدعو الانسان إلى التواضع ، واغتنام فرصة إقبال الناس ، والإكثار من الإخوان والأصدقاء .

وفي هذه المعاني يقول الإمام علي (ع) :

« زهدك في راغب فيك نقصان حظ ، ورغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس »[1] .

فإذا أردت أن تكون من المحظوظين السعداء ، فلا تزهدن في من يرغب فيك ، ويقبل عليك ، واغتنم فرصة رغبته فيك ، وإقباله عليك ، وآخه وصادقه .

القاعدة الثالثة : الاحتفاظ بالأصدقاء القدامى

الأصدقاء القدامى كالتحف النادرة القديمة التي كلما تعاقبت عليها الليالي والأيام ، ازداد الانسان حباً فيها ومحافظة عليها . وهم كرأس المال الأول للانسان . أرأيت إن كان لك رأس مال أوليّ ، فإنك به تصنع استثماراتك الجديدة والمستقبلية ؟

---

(١) نهج البلاغة ، ص ٥٥٥ .

وإذا كان الأمر كذلك ، فهل من الحكمة أن يُفرط في التحف النادرة ، أو أن يتم التخلص منها بإهمالها ، أو رميها ؟ .

وهل من الصحيح أن يهمل الانسان رأس ماله ويضيعه ؟!

إن الصداقة مهما كانت قديمة فهي دائماً جديدة ، كماء النهر فهو دائماً جديد . وأن أعجز العاجزين هو ذلك الذي لم يكتسب صديقاً له في الحياة ، وأعجز منه ذلك الذي اكتسب أصدقاء ، ففرّط فيهم ، وضيعهم .

يقول الإمام علي (ع) :

« أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم »[1] .

فهلا نكثر من الأصدقاء الجدد ، ونحافظ على ما ظفرنا به من أصدقائنا القدامى ؟ .

القاعدة الرابعة : استعمال الوصل في مقابل القطع .

أرأيت النحل في خلاياه ؟

إنك لتجد حالة التواصل متمثلة في أعلى مستوياتها ، فأفراد النحل وإن كانوا يزاحمون بعضهم بعضاً ، ويستعملون نوعاً من الشدة فيما بينهم ، فيلسعون بعضهم بعضاً إلّا أن حالة التواصل سرعان ما تعود فيما بينهم ، وكأن شيئاً لم يكن .

وإذا كانت تلك شاكلة النحل ، أفليس من الخليق ببني الانسان الذين هم مكرمون على جميع الخلائق ، ومتميزون عليهم بالعقول ، أن يستعملوا

---

(١) نهج البلاغة ، ص ٤٧٠ .

أسلوب : الصلة في مقابل القطيعة ، والاحسان في مقابل الاساءة ؟

ان الصداقة قد تتعرض لما من شأنه أن يسبب التقاطع ، ولكن ما هو الأسلوب الأمثل لرأب الصدع ؟

هل التمادي في الخصومة ، والقطيعة ، واللجاجة ، أم تقديم الحب ، والتنازل ، والاحسان ؟

وما من شك أنه لا أفضل من أسلوب الوصل في مقابل القطع ، والاحسان في مقابل الاساءة ، فهو الأفضل في التعامل بين الاخوان والأصدقاء ، وبين عموم الناس . وعن طريق هذا الأسلوب يحقق المرء المستعمل له أمور :

١ ـ أنه لا يدع فرصة للأغلال النفسية أن تعشعش في نفسه ، وفي نفس صديقه المتقاطع معه ، فينسفها نسفاً .

٢ ـ تقديم التنازل ، وبالتالي التحكم في الأنا ، والابتعاد عن التعصب الأعمى .

٣ ـ عودة الصداقة الى مرافئها .

يقول الإمام علي (ع) :

« احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة إذا قطعك »[١] .

ويقول (ع) :

« عاتب أخاك بالاحسان إليه ، واردد شرّه بالانعام عليه »[٢] .

---

(١) تحف العقول .

(٢) نهج البلاغة ، ص ٥٠٠ .

القاعدة الخامسة : الاصلاح بين الأصدقاء .

ما الذي تشاهده لو وضع أمام ناظريك كأس ماء هادىء ، رسبت في قاعه حبيبات من التراب ؟

ما تشاهده ، هو رواق الماء . ولكن ماذا لو حركت الكأس تحريكاً خفيفاً ، واهتزت حبيبات التراب ، ألا ترى شيئاً من تلك الحبيبات تبدأ بالتقليل من صفاء الماء ؟

وهكذا الحال بالنسبة للصداقة ، فالأصل فيها هو الصدق ، والحب ، والانسجام ، والوحدة ، والانفاق . كما تتوافق ذرات الماء الرائق مع بعضها البعض . ومع ذلك فقد يحدث اختلاف ، أو سوء تفاهم بين صديقين ـ لسبب ما ـ لأن الانسان ليس محفوظاً من أن يخطىء ، وهو لا يتعامل مع تماثيل حجرية ، وإنما مع بشر .

وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يتم التصرف حيال الاختلافات بين الأصدقاء ؟

وكيف يتم الاصلاح بينهم ؟

في كثير من الأحيان يتنازل الأصدقاء ، ويمتصون الاختلافات التي قد تنشأ بينهم . وقد يكون التنازل من طرفين ، وقد يكون من طرف واحد ، وبالنتيجة يعود الأصدقاء إلى الحالة الطبيعية الصافية كما تعود جزيئات الماء التي أصابها شيء من التعكر ، إلى حالة الرواق .

ويعتبر الطرفان المختلفان هما المسؤول الأول عن ارجاع الصداقة إلى حالتها الطبيعية . أما لو لم يبادر أي منهما إلى الصلح وفض الاختلاف ، وفتح صفحة جديدة ، فهنا يأتي دور الطرف الثالث في تقديم باقة من الورد ، أو رفع

غصن من الزيتون من أجل الاصلاح . ووسيلة الإصلاح ، الكلمة الطيبة ، وذلك بأن تنقل كلاماً طيباً عن كل منهما للآخر ، والكذب الأبيض ، وكل وسيلة ة تؤدي إلى الاصلاح .

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام »[1] .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« كل كذب مسؤول عنه يوم القيامة إلا ثلاثة :

رجل كائد في حربه ، فهو موضوع عنه ،

ورجل أصلح بين اثنين ، يلقى هذا بغير ما يلقى هذا ،

ورجل وعد أهله شيئاً ، ولا يريد أن يتم لهم عليه ، يريد بذلك دفاً »[2] .

---

(١) ميزان الحكمة .

(٢) المصدر السابق .

كيف تتعامل مع العائلة ؟

ما هي العائلة ؟

وما ربطها بالتعامل مع الناس ؟

كلمة « العائلة » تطلق على من يعيلهم الرجل ، وينفق عليهم ، وهم الزوجة والأولاد ، ومن ينتسب إليه من أبيه ، كالاخوان . والأهل هم العشيرة . وذوو القربى ، وتطلق مخصوصاً على الزوجة ، فأهل الرجل هي زوجته .

العائلة نقطة الانطلاق :

وحيث أن أفراد العائلة هم أقرب الناس وأولهم بالنسبة للإنسان ، وحيث أنهم يعيشون في محيط مشترك ، سواء على صعيد القرابة ، أو على صعيد الأسرة الواحدة ، والمنزل الواحد ، فإن علاقاتهم الاجتماعية ، وتعاملهم فيما بينهم يلزم أن تكون قائمة على أسس متينة . وذلك لأن التعامل الحسن هو الحالة المطلوبة من جهة ، ومن جهة أخرى أن التعامل الحسن مع أفراد العائلة يشكل نقطة الانطلاق في التعامل مع الناس . فمن يحقق نجاحاً باهراً في تعامله مع عائلته ، فإنه يحقق نجاحاً في التعامل مع عموم الناس الآخرين ، وعكس ذلك صحيح .

والنجاح والسعادة في ميدان الاجتماع كل لا يتجزأ ، ويشمل النجاح والسعادة في التعامل مع العائلة ، ومع الأصدقاء ، ومع عموم الناس على اختلاف فئاتهم . فمن يحقق نجاحاً في تعامله مع الناس ، أو مع أصدقائه ، ولكنه يسيء التعامل مع أفراد عائلته ، فإنه لا يعتبر ناجحاً وسعيداً . فلكي تدخل السعادة من أوسع أبوابها ، واجبك أن تسعد نفسك على جميع هذه المحاور ، وأولها التعامل مع أفراد العائلة .

وقواعد التعامل مع كل تلك المحاور ، ومع أفراد كل واحد منها ، كثير منها مشترك ، وتبقى بعض الخصوصيات التي ترتبط بالفرد وموقعه . فعلى سبيل المثال : أن قواعد : الاحترام ، والتقدير ، واظهار الاهتمام المخلص ، والحب للنفس كما الحب للغير ، والكره للنفس كما الكره للغير ، وترك التوبيخ واللوم ، واستخدام الرفق ، و . . . هي قواعد مشتركة وضرورية للتعامل مع عموم الناس على اختلاف فئاتهم وحرفهم ، ومع الأصدقاء ، ومع أفراد العائلة ، كالوالدين ، والزوجة ، والأولاد ، والاخوان ، ومع عموم الأهل والأقارب ، كالأعمام ، والعمات ، والأخوال ، والخالات ، و . . .

قواعد أساسية في التعامل مع العائلة

القاعدة الأولى : الحب والمودة :

قد تسأل : إذا كنت أعيش مع أبي ، وأمي ، وزوجتي ، وأولادي ، ألا تكفي قرابتهم لي عن كل شيء ؟

والاجابة :

أن علاقة الانسان بعائلته ليست علاقة ميكانيكية ، بل هي علاقة قائمة على الانسانية ، والحب المتبادل بين كل فرد وآخر فيها . والحب غريزة موجودة في كل فرد من أفراد العائلة تجاه كل فرد آخر فيها ، فالأب يحب زوجته ، وكلاهما يحب الأولاد ، والأولاد يحبون الآباء ، إلّا أنها قد تضيّق في إطار القرابة ، وهذا غير صحيح .

إن القرابة مهما كانت قوية فإنها لا غنى لها عن الحب ، وليست بديلاً عنه ، فهي بحاجة إليه أكثر مما يحتاج هو إلى القرابة . فكم من أناس متحابّين متوادين ، هم أصدقاء من دون أن تربطهم قرابة عائلية ، وكم من أقرباء ليسوا متحابين بالشكل المطلوب !

وفي هذا المضمون يقول الإمام علي (ع) :

« القرابة إلى المودة أحوج من المودة إلى القرابة »[1] .

فلكي تحسن معاملة عائلتك يلزمك أن تقيمها على الحب ، وازدهاره .

القاعدة الثانية : الصداقة مع العائلة :

المعلوم أننا نجدّ ونجتهد في اكتساب أصدقاء أغراب ، وننسى أن أفراد عائلتنا هم أوائل الأفراد الجديرين بالمصادقة .

وتسأل :

إذا كانت لدي صلة قرابة مع أفراد عائلتي ، فما الداعي لمصادقتهم ؟

وكيف أكون صديقاً لأبي ، وأمي ، وزوجتي ، وأولادي ، وإخواني ، وسائر أفراد العائلة ؟

إن كونهم أقرباء بالنسبة لك ، لا يكفي ، بل لا بد من اتخاذهم أصدقاء حميمين بالنسبة لك ، فتحبهم ، وتصادقهم ، وتعطيهم حقوقهم كاملة غير منقوصة ، كما تعطي أصدقاءك الأغراب حقوقهم .

وأنه لمن وافر السعادة ، ومن مظاهر المجتمع المتماسك المتحابّ ، أن تجد الوالد صديقاً لولده ، والأخ صديقاً لأخيه ، والزوج صديقاً لزوجته ، وكل فرد في العائلة صديقاً للآخر فيها ! .

القاعدة الثالثة : المعاشرة بالمعروف :

المعاشرة ، المخالطة ، والمعاملة ، والمعروف هو كل عطاء خيّر يؤيده الدين والعقل . فالكلمة الطيبة ، والاحترام ، والتقدير ، والحفظ في الغيبة ،

---

(١) ميزان الحكمة .

والحب ، والاخلاص ، وتلافي إراقة ماء الوجه ، والانفاق ، و . . كل هذه الأمور تندرج تحت مفهوم المعروف .

والحق أن أفراد العائلة هم أولى الناس بالمعروف ، فمن الاجحاف أن يقدم الانسان معروفه إلى الآخرين ، ولا يقدمه إلى أقاربه وأفراد عائلته .

يقول تعالى :

﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾[1] .

وتقول الحكمة الشهيرة :

« الأقربون أولى بالمعروف » .

ويقول الإمام الصادق (ع) :

« أن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خصال ، يتكلّفها وإن لم يكن في طبعه ذلك : معاشرة جميلة ، وسعة بتقدير ، وغيرة بغير تحصّن »[2] .

القاعدة الرابعة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يقول تعالى :

﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾[3] .

أياً كانت منزلتك في العائلة ، سواء كنت أباً ، أو أماً ، أو ولداً مؤهلاً ، أو زوجة ، أو أخاً ، أو . . . فإن من واجبك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

أن كل عمل خيرّ تأمر به العائلة هو معروف ، وأن كل عمل سيّء تنهى

---

(١) سورة النساء ، آية : ١٩ .

(٢) ميزان الحكمة ، ج ٦ ، ص ٣١٥ .

(٣) سورة طه ، آية : ١٣٢ .

عنه ، وتحاول تغييره فهو منكر . فقد تكون أباً فتأمر أولادك بإقامة الصلاة ، وحسن الارتباط بالله ، واكتساب الأخلاق ، وقضاء حوائج الآخرين ، واحترام وتقدير الوالدين ، والناس ، وبكل معروف يحتاجون إليه . أو قد تنهاهم عن أي خصلة أو ممارسة ليست من المعروف في شيء . وقد تكون ابناً فتأخذ دورك في العائلة ، فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . وقد تكون أخاً فتصنع مثل ذلك . وهكذا فإن أي فرد في العائلة مطالب بممارسة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . وبممارسة ذلك يتم تحقيق أمرين :

١ ـ تكريس الفضيلة ، ونشرها في العائلة ، لتكون (العائلة) بالفعل نواة صالحة ، ولبنة متينة للمجتمع .

٢ ـ تقويم العائلة ، وتصحيح مسارها ، وتخليصها من كل ما من شأنه أن يجرّها إلى الرذيلة ، والأخلاق والعادات السيئة .

القاعدة الخامسة : الحلم :

إذا كان من المطلوب من الانسان أن يتعامل مع الآخرين باللين والرفق ، ويدع العنف والغضب ، فإن من المطلوب منه بشكل أولي أن يتعامل مع أفراد عائلته بمثل ذلك .

وأنه لمن الشقاء الحقيقي ، والجور أن يتحول الانسان إلى وردة في تعامله مع الناس ، ولكنه حينما يعود إلى منزله يتحول إلى بارود منفجر ، مع أبيه ، وأمه ، وزوجته ، وأولاده ، وإخوانه .

ومن هنا فإن ممارسة الحلم ، وضبط النفس يجب أن تبدأ من العائلة ، إذ فما فائدة أن تسعد الآخرين ، وأقرباؤك يشقون بك ؟!

يقول الإمام علي (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع) :

« ولا يكوننّ أهلك أشقى الخلق بك »[1] .

القاعدة السادسة : الصبر على الأهل والأولاد :

قد تسأل :

ماذا يعني الصبر هنا ؟

أن تصبر على أهلك يعني أمرين :

١ ـ أن تصبر على تحمل مسؤوليتهم ، ومؤونتهم ، وعلى ما تحب فيهم من الأخلاق الفاضلة .

٢ ـ أن تصبر على ما تكره منهم ، وذلك بأن تقوّمهم ، وترشدهم إلى الحق والصواب .

يقول الإمام الباقر (ع) :

« إني لأصبر من غلامي هذا ومن أهلي على ما هو أمرّ من الحنظل ، أنه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم ودرجة الشهيد الذي ضرب بسيفه قدام محمد صلى الله عليه وآله »[2] .

القاعدة السابعة : أن لا تتحول العائلة إلى ملهاة عن ذكر الله والتزام مبادئه :

كما أن المال إذا أسيء فهمه ، واستخدامه ، يتحول إلى ملهاة عن ذكر الله ، ومادة للأهواء والشهوات ، فكذلك الأهل والأولاد ، يتحولون إلى أداة إلهاء عن قيم الله فيما إذا لم يتمّ التعامل معهم وفق الطريقة التي يأمر بها الدين .

---

(١) ميزان الحكمة ، ج ٦ ، ص ٣١٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

وتحول العائلة إلى ملهاة عن مبادىء الله يظهر في عدة أمور منها :

١ ـ الاصابة بالغرور والكفران بسبب الأولاد . فكم من إنسان أنجب له أولاد ، فلم يتواضع ولم يشكر الله على هذه النعمة ، فابتعد عن جادة الحق ، والهداية والرشاد .

٢ ـ الاستسلام لضغوط الأولاد السلبية ، والتأثر بها .

٣ ـ الانشغال بهم ، وبمسؤوليتهم ، وبتحمل نفقاتهم على حساب الالتزام بالمبادىء والقيم الالهية .

يقول تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »[1] .

القاعدة الثامنة : صلة الرحم :

من أهم قواعد التعامل مع العائلة ، والأهل وذوي القرابة ، صلتهم ، والمحافظة على متانة العلاقات الاجتماعية بهم . وقد ينشغل الانسان بجزئيات حياته ، أو قد يفرّط في زيارة أقاربه وصلتهم ، فيقطعهم ، فما الذي يحدث من جراء ذلك ؟

إن أبرز ما يحدث هو أن يكون أفراد الأهل أو الأقارب كحلقات السلسلة المبتعدة عن بعضها البعض ، في الوقت الذي يجب أن يكونوا متواصلين متلاحمين .

فلكي تصل رحمك ، فالأمر في غاية السهولة . قف مع نفسك ، وانظر ما

---

(١) سورة المنافقون ، آية : ٩ .

لديك من أقارب وأرحام ، من آباء ، وإخوان ، وأولاد ، وأعمام ، وعمات ، وأخوال ، وخالات ، و . . . وارسم لك برنامجاً لصلتهم .

وصلة الرحم وسيلة فنية هامة في مصادقة الأهل والأقارب ، ولقضاء الوقت المشحون بالودّ والوئام ، وهي تكون بزيارة القريب إذا كان حاضراً ، وبمكاتبته إذا كان مسافراً ، أو بالاتصال به بواسطة جهاز الهاتف ، أو بالسؤال عنه ، أو بأي وسيلة اتصال أخرى . ولا تنسى أن للزيارة الأثر الأعمق في الأرحام والأقارب وفي تعزيز التلاحم العائلي . وأي سعادة يشعر بها الإنسان حينما يصل أرحامه ! إنها سعادة يفتقر إليها كل من لا يصل أرحامه وأقاربه!

يقول الرسول الأعظم (ص) :

« صلة الرحم تعمر الديار ، وتزيد في الأعمار وإن كان أهلها غير أخيار »[1] .

(١) ميزان الحكمة ، ج ٤ ، ص٨٥ .

التعامل مع الوالدين والأولاد والاخوان

الوالدان ، والأولاد ، والاخوان هم ليسوا منفصلين عن إطار الناس ، بل هم الأولون في هذا الاطار . وعليه فإن هناك قواعد مشتركة كثيرة في التعامل مع الناس ، وفي التعامل مع الوالدين ، والأولاد ، والإخوان .

ويمكن إيجاز قواعد التعامل مع الوالدين في ما يلي :

١ـ الاحسان والبر والمعروف .

٢ ـ الاحترام والتقدير واجتناب النهر .

٣ ـ القول الكريم .

٤ ـ الرحمة بهما .

٥ ـ الدعاء لهما .

٦ ـ عدم إطاعتهما في ما لا يرضي الله .

٧ ـ مصادقتهما .

يقول تعالى :

﴿ قضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إياه وبالوالدين إحساناً . إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما ، وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة ، وقل ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً ﴾[1] .

ويقول الإمام عليّ بن الحسين (ع) ، في تبيانه لطريقة التعامل مع الوالدين باعطائهما حقوقهما :

« . . . وأما حق أمك : فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً ، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً ، ووقتك بجميع جوارحها ، ولم تبالِ أن تجوع وتطعمك ، وتعطش وتسقيك ، وتتعرّى وتكسوك ، وتضحي وتظلك ، وتهجر النوم لأجلك ، ووقَتْكَ الحرّ والبرد لتكون لها ، وإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه »[2] .

« وأما حق أبيك : فأن تعلم أنه أصلك وأنه لولاه لم تكن ، فمهما رأيت في نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه ، فاحمد الله ، واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلّا بالله » .

وفيما يرتبط بالتعامل مع الأولاد ، وإعطائهم حقوقهم يقول (ع) :

« وأما حق ولدك : فأن تعلم أنه منك ، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره ، وأنك مسؤول عمّا وليته به من حسن الأدب ، والدّلالة على ربّه ـ عز وجل ـ والمعونة له على طاعته . فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الاحسان إليه ، معاقب على الاساءة إليه » .

* * *

(١) سورة الاسراء ، آية : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) مكارم الأخلاق ، ص ٤٢١ ، رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين (ع) .

جاء في كتاب « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس » لدايل كارينجي ، ذكر مقالة نشرت أول الأمر في مجلة « بيبولزهوم جورنال » ، ثم نشرت بعد ذلك آلاف المرات . وقصة المقالة ، أن شخصاً انتقد طفله ، وعنّفه ، ثم أصيب بحالة من الندم . ونص المقالة هو كالتالي :

يا بنيّ !

اكتب هذا وأنت راقد أمامي على فراشك ، سادر في نومك ، وقد توسّدت كفك الصغير ، وانعقدت خصلات شعرك الذهبي فوق جبهتك الغضّة .

فمنذ لحظات خلت كنت جالساً إلى مكتبي أطالع الصحيفة ، وإذا بفيض غامر من الندم يطغى عليّ ، فما تمالكت إلّا أن تسلّلت إلى مخدعك ، ووخز الضمير يصليني ناراً .

وإليك الأسباب التي أشاعت الندم في نفسي :

أتذكر صباح اليوم ، لقد عنّفتك ، وأنت ترتدي ثيابك تأهّباً للذهاب إلى المدرسة ، لأنك عزفت عن غسل وجهك ، واستعضت عن ذلك بمسحه بالمنشفة ، ولُمتك لأنك لم تنظف حذاءك كما ينبغي ، وصحت بك مغضباً لأنك نثرت بعض الأدوات عفواً على الأرض !

وعلى مائدة الافطار أحصيت لك الأخطاء واحدة واحدة : فقد أرقت حساءك ، والتهمت طعامك ، وأسندت مرفقيك إلى حافة المائدة ، ووضعت نصيباً من الزبد على خبزك أكثر مما يقتضيه الذوق !

وعندما ولّيت وجهك شطر ملعبك ، واتخذت أنا الطريق إلى محطة القطار ، التفتّ إليّ ولوّحت لي بيدك ، وهتفت : « مع السلامة يا بابا » .

وقطّبت لك جبيني ولم أجبك ، ثم أعدت الكرة في المساء . ففيما كنت أعبر الطريق لمحتك جاثياً على ركبتيك تلعب « البلي » ، وقد بدت على جواربك ثقوب ، فأذللتك أمام أقرانك ، إذ سيّرتك أمامي إلى المنزل مغضباً ، باكياً . إن الجوارب ، يا بنيّ ، غالية الثمن ، ولو كنت أنت الذي تشتريها لتوفرت على العناية بها والحرص عليها .

أفتتصور هذا يحدث من أب ؟!

ثم أتذكر بعد ذلك ، وأنا أطالع في غرفتي ، كيف جئت تجرّ قدميك متخاذلاً ، وفي عينيك عتاب صامت ، فلما نحّيت الصحيفة عنّي وقد ضاق صدري لقطعك عليّ حبل خلوتي ، وقفت بالباب متردداً ، وصحت بك أسألك : « ماذا تريد ؟! » .

لم تقل شيئاً ، ولكنك اندفعت إليّ ، وطوّقت عنقي بذراعيك وقبّلتني ، وشددت ذراعيك الصغيرتين حولي في عاطفة أودعها الله قلبك الطاهر مزدهرة ، لم يقو حتى الاهمال على أن يذوي بها !

ثم انطلقت مهرولاً تصعد الدرج إلى غرفتك ! .

يا بنيّ !

لقد حدث بعد ذلك ببرهة وجيزة ، أن انزلقت الصحيفة من بين أصابعي ، وعصف بنفسي ألم عاتٍ .

يا لله ! إلى أين كانت « العادة » تسير بي ؟! عادة التفتيش عن الأخطاء ؟! عادة اللوم والتأنيب ؟! أكان ذلك جزاؤك مني على أنك ما زلت طفلاً ؟! .

كلا ! لم يكن مردّ الأمر أني لا أحبك ، بل كان مردّه أني طالبتك بالكثير ، برغم حداثتك ! كنت أقيسك بمقياس سنّي ، وخبرتي ، وتجاربي .

ولكنك كنت في قرارة نفسك تعفو وتغضي ، وكان قلبك الصغير كبيراً كبر الفجر الوضّاء في الأفق الفسيح ، فقد بدا لي هذا في جلاء من العاطفة المهمة التي حدت بك إلى أن تندفع وتقبلني قبلة المساء !

لا شيء يهم الليلة يا بنيّ ! لقد أتيت إلى مخدعك في الظلام ، وجثوت أمامك موصوماً بالعار !

وأنه لتفكير ضعيف !

أعرف أنك لن تفهم مما أقول شيئاً لو قلته لك في يقظتك ، ولكني من الغد سأكون أباً حقاً . سأكون زميلاً وصديقاً . سأتألم عندما تنام ، وسأضحك عندما تضحك ، وسأعضّ لساني إذا اندفعت إليك كلمة من كلمات اللوم والعتاب ، وسأردّ على الدوام ـ كما لو كنت أتلو صلواتي ـ « إن هو إلاّ طفل » ! .

لشدّ ما يحزّ في نفسي أنني نظرت إليك كرجل ، إلا أنني وأنا أتأملّك الآن منكمشاً في مهدك ، أرى أنك ما زلت طفلاً . وبالأمس القريب كنت بين ذراعي أمّك ، يستند رأسك الصغير إلى كتفها ، وقد حمّلتك فوق طاقتك !

* * *

وفيما يرتبط بالتعامل مع الاخوان ، وإعطائهم حقوقهم يقول الإمام علي بن الحسين (ع) :

« وأما حق أخيك : فأن تعلم أنه يدك ، وعزك ، وقوتك ، فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله ، ولا عدّة للظلم بخلق الله ، ولا تدع نصرته على عدوه ، والنصيحة له ، فإن أطاع الله وإلاّ فليكن الله أكرم عليك منه ، ولا قوة إلاّ بالله » .

والحق أن الانسان بالتزام العدالة يمكنه حسن معاملة والديه ، وابنائه ، وإخوانه ، وزوجته ، وكل إنسان ، لأنها وضع للشيء في موضعه ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وهي صفة جامعة لكثير من الفضائل .

التعامل مع الزوجة

يقول تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[1] .

الأمر الأساسي الذي يجب التأكيد عليه هو أن الزوج ـ زوجاً كان أو زوجة ـ هو أحد الأطراف من الناس ، بل هو أقربهم بالنسبة للانسان . وأن السعادة الزوجية هي من أهم أوجه السّعادة العامة في الحياة . ومن هنا فإن قواعد ووصايا التعامل تتوجه إلى الزوج والزوجة على حدّ سواء ، فكل منهما مطلوب منه أن يعامل الآخر ، ويعاشره بشكل حسن .

إلا أنه باعتبار أن المرأة ضعيفة ، وباعتبارها محميّة الرجل ، وباعتبار أن الرجال هم القوامون على النساء ، وأن بعض الرجال يستغل هذه الأمور بشكل سلبي ، فإن كيفية التعامل تتوجه إلى الزوج تجاه زوجته .

---

(١) سورة الروم ، آية : ٢١ .

اثنا عشر قاعدة هامة في التعامل مع الزوجة

القاعدة الأولى : الحب .

القاعدة الثانية : الاحترام .

القاعدة الثالثة : التقدير المخلص .

القاعدة الرابعة : الصداقة .

القاعدة الخامسة : كثرة الموافقة .

القاعدة السادسة : التوسيع مع التقدير .

القاعدة السابعة : الغيرة من غير تحصّن .

القاعدة الثامنة : ترك الانتقاد .

القاعدة التاسعة : ترك اللوم ، والعتاب ، والتوبيخ .

القاعدة العاشرة : استعمال الرحمة والرفق واللياقة والكياسة بدل الغلظة .

القاعدة الحادية عشرة : الابتعاد عن النكد ، وعن اختلاق المشاكل .

القاعدة الثانية عشرة : التزام الآداب ، والاهتمام باللفتات البسيطة ، كامتداح الإجادات ، وتقديم الهدايا .

* * *

اسطورة ، وعبرة :

جاء في بعض الأساطير أن امرأة قروية ، كانت تصنع الطعام كل يوم لرجال عشيرتها . ولكنها أتت ذاة مرة بمقدار من علف الماشية ، ووضعته أمامهم بدلاً من الطعام .

فصرخ الرجال في وجهها ، وقد حسبوا أن مسّاً من الجنون قد ألمّ بها ، فما كان منها إلّا أن قالت لهم :

وما أدراني أنكم ستلاحظون الفارق ؟!

ولم أكن أعرف أنكم بشر ، وأنكم ستفرقون بين الطعام ، وبين كومة من العلف .

وأضافت : لقد ظللت أطهو لكم الطعام عشرين عاماً ، فلم أسمع منكم طوال هذه المدة ما يطمئنني إلى أنكم تفرقون حقاً بين الطعام وعلف الماشية !

وكان أبناء الطبقة الراقية في عهد القيصرية الروسية ، إذا استحسنوا طعاماً ، أصرّوا على أن يؤتى بالطاهي أمامهم ليسبغوا عليه آيات شكرهم وتقديرهم . أفليست الزوجة جديرة بالشكر والتقدير ؟ .

* * *

هكذا يفعل النقد :

يقول دايل كارينجي :

صرّحت « دوروثي ديكس » : الحجة الأولى في أسباب الشقاء الزوجي ، أن أكثر من خمسين في المائة من مجموع الزيجات تتحطم على صخور محاكم الطلاق في مدينة «رينو» بسبب النقد وحده . . . النقد العقيم الذي يكسر القلب ، ويذلّ النفس !

* * *

كلمة في اللياقة :

أهم ما يلي العناية باختيار الرفيق المناسب ، هو التزام حدود اللياقة بعد الزواج . فلو التزمت الزوجات حدود اللياقة مع أزواجهن كما يلتزمنها مع الأغراب ، لعضّ كل زوج لسانه إذا اندفعت إليه قوارص الكلم ! .

* * *

عاقبة النكد :

كان تولستوي من أبرع وأشهر القصصيين الذين عرفهم التاريخ . وبالاضافة إلى الشهرة ، كان وامرأته على حظ موفور من المال ، والبنين ، والمركز الاجتماعي ، فكان خليقاً بهما أن يبلغا قمة السعادة والهناء . وقد بلغاها في أول الأمر ، حتى أنهما كانا يسجدان لله ، ويبتهلان له أن يديم عليهما هذه السّعادة الغامرة .

ثم حدث شيء عجيب ، فقد تغيّر تولستوي بعد ذلك تدريجياً ، حتى أصبح شخصاً مختلفاً تماماً ! فقد راح يزدري مؤلفاته ، وزهد في الدنيا ، وجاهها ، واعتزم أن يكرّس حياته لاصدار نشرات تحث على السلام ، ومحو الحرب والفقر من هذا العالم . ثم تخلّى عن أراضيه ، وعاش عيش الشظف ، وأخذ يفلح الأرض ، ويقطع الأشجار ، ويصنع أحذيته بنفسه ، ويكنس غرفته

بيده ، ويتناول طعامه في وعاء خشبي ! .

ولكن زوجته كانت تحب الترف الذي يحتقره . وكانت تشتهي المال ، والجاه ، والثروة التي يمقتها . وكانت تتلهف على الشهرة والمركز ، والصّيت التي يزدريها . ومن ثم ظلّت تختلق له النكد ، وتنغّص عليه حياته ، وتسفّه آراءه ، وتصخب ، وتلعن حين يصرّ على أن ينشر كتبه دون أن ينال عنها أجراً ، أو يلحقه بسببها مجد .

وإذا أخفقت ، مع هذا ، عن إثنائه عن عزمه ، أسلمت نفسها لقبضة «الهيستيريا» ، وجعلت تتمرغ على الأرض ، وزجاجة السم على شفتيها ، وهي تقسم لتقتلنّ نفسها إن لم ينزل عند إرادتها ، وأصبح تولستوي لا يحتمل حتى مجرد رؤية زوجته !

وفي ذات مساء ، سعت إليه ، وقد استبدّ بها الظمأ إلى العطف والحب ، وجثت على ركبتيها أمامه ، وتضرعت إليه أن يتلو عليها رسائل الحب التي كتبها لها قبل زواجه منها ! وبينما هو يقرأ ما سطره في تلك الأيام الجميلة الخالية بكى كلاهما . بكيا في حرقةٍ وحرارة لبعد الفارق بين الأحلام الظليلة التي رتعا زمناً في فيئها ، وبين الحقيقة المستعرة التي يصطليان لهيبها !

وعندما بلغ تولستوي الثمانية والثمانين من عمره ، عجز عن احتمال الشقاء الذي يخيّم على بيته ، فما كان منه إلّا أن تسلّل هارباً ذات ليلة عاصفة ممطرة من ليالي شهر اكتوبر عام ١٩١٠ ، واحتواه البرد ، ولفّه الظلام وهو سائر لا يدري إلى أين ! وبعد ذلك بأحد عشر يوماً مات تولستوي متأثراً بالتهاب رئوي . ووجدت جثته ملقاة في قناء إحدى محطات السكك الحديدية ، وكانت الوصية التي أوصى بها قبيل موته ، ألا يؤذن لزوجته برؤيته ! .

* * *

أشياء رمزية تعني الشيء الكثير للمرأة :

اعتدت في الذكرى السنوية لزواجنا أن أقدم لزوجتي هدية تعبيراً عن حبي وتقديري لها ، وفي آخر ذكرى قبل كتابة هذه الأسطر ، طرحت على نفسي هذا السؤال : أي هدية أقدمها لزوجتي العزيزة في ذكرى زواجنا ؟ طرحت هذا السؤال وأنا أدرك سلفاً أن الهدية رمزية أكثر منها قيميّة . فتوجهت إلى مكتبة قريبة من منزلنا ، واشتريت قلماً جميلاً ، وبطاقة ، كتبت فيها : « زوجتي الحبيبة فلانة ! بمناسبة الذكرى الرابعة لزواجنا المبارك ، أقدم لك هذه الهدية المتواضعة ، تعبيراً مني عن حبي وتقديري لكِ » . فما كان من زوجتي إلاّ أن سرّت وابتهجت ، وشكرتني على ذلك ، ثم علّقت الهدية والبطاقة على دولاب ثيابها .

* * *

مصادر الكتاب

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ بحار الأنوار / العلامة المجلسي .

٣ ـ ميزان الحكمة / الشيخ المحمدي الريشهري .

٤ ـ تحف العقول / الشيخ الحرّاني .

٥ ـ وسائل الشيعة / الشيخ الحرّ العاملي .

٦ ـ سفينة البحار .

٧ ـ مكارم الأخلاق / الشيخ الطبرسي .

٨ ـ نهج البلاغة للإمام علي / تنظيم صبحي الصالح .

٩ ـ شرح الغرر والدرر للآمدي (فهرس موضوعي) / تنظيم سيد جلال الدين محدث .

١٠ ـ الدليل على موضوعات نهج البلاغة / تنظيم علي أنصاريان .

١١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة / تنظيم محمد دشتي ـ كاظم محمدي .

١٢ ـ الأصول من الكافي / الكليني الرازي .

١٣ ـ مقتل الحسين / عبد الرزاق الموسوي المقرم .

١٤ ـ كليات مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي .

١٥ ـ المنتخب / الطريحي .

١٦ ـ الصداقة والأصدقاء / السيد هادي المدرسي .

١٧ ـ كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس / دايل كارينجي .

١٨ ـ كيف تتعامل مع الناس / دايل كارينجي .

١٩ ـ قصص الأبرار / الشهيد مرتضى المطهري .

٢٠ ـ علم النفس التربوي / آرثر جيتس .

٢١ ـ مصادقة الاخوان / الشيخ الصدّوق .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
بينك وبين الله	٧
أصلح علاقتك مع الله	٩
أصلح أمر آخرتك	١٥
كيف تتعامل مع نفسك	٢٧
لا تسيء إلى أحب الناس إليك	٢٩
جاهد نفسك	٣٥
انهَ نفسك عن هواها	٣٩
اعرف حق نفسك	٤٣
راقب نفسك وحاسبها	٤٧
كيف تتعامل مع الناس	٥٣
مقدمة	٥٥
التقوى! التقوى!	٥٩
الأخلاق! الأخلاق	٦٧

الموضوع	الصفحة
اعط الناس حقوقهم	٧١
تواضع للناس	٨١
رغبة عميقة في التعامل مع الناس	٨٥
قدم اهتمامك المخلص بالناس	٨٧
أشعر الآخرين بأهميتهم ، وعدد الصفات الطيبة فيهم	٩١
إمنح التقدير لأفكار الآخرين، واعطف على رغباتهم	٩٥
دع الطرف الآخر يحتفظ بكرامته	٩٩
ضع نفسك موضع الطرف الآخر، وافهم عقليته	١٠٣
كيف تصبح محبوباً	١٠٩
لكي يسرّ بك الناس	١١٥
ابتسم	١١٩
اهتم بذكر وحفظ أسماء الناس	١٢٥
اجعل نفسك مستمعاً طيباً	١٢٩
توسل بالرفق واللين والرحمة	١٣٣
خاطب الدوافع النبيلة في الناس	١٤٥
حبّب الآخرين في الأعمال التي تقترحها عليهم	١٤٩
كيف تطلب ما تريد	١٥١
لا تلم الآخرين ولا تعاتبهم	١٥٥
تحاش الجدال	١٥٩
كن متحدثاً لبقاً	١٦٣
سلّم بأخطائك	١٦٧
ابدأ بأخطائك أولاً قبل الانتقاد	١٦٩

الموضوع ..... الصفحة

كيف تتعامل حينما يخطىء الآخرون ١٧٣
احترم آراء الآخرين ولا تقل لأحد أنه مخطىء ١٧٥
كيف تتعامل مع الأصدقاء ١٧٩
كلمة في البدء ١٨١
عظمة الصداقة ١٨٥
الصداقة صناعة ١٨٧
الصداقة ضرورة دينية وحياتية ١٨٩
اختر أصدقاءك ١٩١
الجديرون بالمصادقة ١٩٣
من لا تصح أو لا تجدر مصادقتهم ١٩٧
اختبر أصدقاءك ٢٠١
حقوق الأصدقاء ٢٠٥
آداب الصداقة ٢١١
خمس قواعد هامة في الصداقة والتعامل مع الأصدقاء ٢١٣
كيف تتعامل مع العائلة ٢٢١
قواعد أساسية في التعامل مع العائلة ٢٢٣
التعامل مع الوالدين والأولاد والاخوان ٢٣١
التعامل مع الزوجة ٢٣٧
إثنا عشر قاعدة هامة في التعامل مع الزوجة ٢٣٩
مصادر الكتاب ٢٤٥

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الروبس - خلف سنتر محفوظ وحجازي - بناية محمد الزين
ت ٨٢١١٤٢ - ٨/ ٧/ ٨٢٣٥٢٦ - ٨٢٣٠٨٩ ص. ب ٩٧/ ٢٥ و ٥٧٨٩/ ١١٣ بيروت لبنان